دول العرب
وعظماء الإسلام

نظم

أحمد شوقي بك

طبع بعد وفاته

مطبعة مصر ـ شركة مساهمة مصرية

توّج هذا الكتاب برفعه الى حضرة صاحب الجلالة
الملك المفدى فؤاد الاوّل النّصير الاكبر للعلوم
والآداب والفنون ايّده الله وادام عزّه وتمكينه
وكان اهداؤه الى السّدة السّنية على يد حضرة
صاحب المعالى حلمى عيسى باشا وزير المعارف العموميّة
يوم تشرفت الجامعة المصريّة بزيارة مؤسّسها
الأعظم ومؤازرها الاكرم
فى يوم السّبت ٢٠ شوال سنة ١٣٥٠ – ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٢

دول العرب وعظماء الإسلام

نظم

أحمد شوقي بك

طبع بعد وفاته

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
١٩٣٣



بسم الله الرحمن الرحيم

هذه دُرّة فى تاج الأدب . وغُرّة فى جبين القريض . نظمَ أمير الشُعر عِقْدها وصاغ معناها ولفظها . وهو يُعانى أَلم النفى . ويتجرّع غُصَص النوى . إبّان الحرب العالميّة الكبرى . بين رُبوع الأندلُس . التى عمّر الإِسلام فيها ثمّ دَرَس . ونما وترعرع وأزهر . ثم ذَوَى وأقْفَرَ

وليس ثمّة مواقع أشحذ للذهن وأنْضَى للخيال من مثل تلك المواقع والمشاهد . التى أوْحت الى شوقى بك . رحمة الله عليه . أن ينظم هذه الأرجوزة الخالدة . فى « دول العرب . وعظماء الإِسلام » . فلا غرْوَ اذا جاءت فى بابها آية . وأوفت فى بلاغتها على الغاية . وكانت جدّ حقيقة أن تتجلّى بمظهرها الرائع . فى سِفْرٍ مستقلّ . وأن تحظى من العناية بضبطها . واتقان طبعها وتصحيحها . بما يكفل الاقبال عليها والانتفاع بها . إن شاء الله تعالى

محمود خاطر

مطبعة مصر فى ٥ مارس سنة ١٩٣٣

مقـــدمة

الحمـــــدُ لله القديم الباقى ... ذى العرش والسبعِ العُلا الطِّباق

المـــلكِ المنفردِ الجبّار ... الدائمِ الجلالِ والإكبار

وارثِ كلّ مالكٍ وما مَلَكْ ... ومُهلِكِ الحىّ ومُحيى مَن هلَك

مُنزّلِ الذّكر بخيرِ الألسنِ ... مشتملا على البيانِ الأحسنِ

أوحى الى رسوله ما أوْحى ... من كلّ غرّاء تُضيء اللوْحا

وقصّ أنباء القرون فى السُّوَرْ ... مَواثِلَ الحسنِ كأمثال الصُّوَرْ

وأفضلُ الصلاة والسلامِ ... على أجَــلّ رسُــلِ السلام

من بلغتْ أمتُه به الأربْ ... ورفعتْ همتُه ذكرَ العربْ

صلّى عليه اللهُ فى سمائهِ ... وعرشِه السابحِ فى أسمائهِ

وجعل الجنةَ من رحابهِ ... وزفّهـــا لمحسِنى أصحابهِ

خلائفِ الحقّ أئمةِ الهدى ... الرافعين بَعـــدَه ما مَهّدا

الفاتحين بالقنا للحقّ ... المنقذين من قيود الرقّ

وجعل الخُلْدَ نظامَ الآلِ ... ومن تلا الوُسطى من اللآلى

بنى علىٍّ وبنى العبــــاس ... زواخرِ الجودِ ، أسودِ الباس

الأكرمين نسباً مُطهّرا ... الأرفعين حسَباً ومظهرا

وبعد ، فاسمعْ يا بُنيّ وافهم ... لاتأخذِ الأمورَ بالتوهّمِ

لما رمى اللهُ بهذى الحربِ ... على بنى الشرق وأهل الغربِ[1]

لحكمةٍ يعلمُها تعالى ... عِلا من أسرارها الأفعالا

يُبرزها غداً من الخباء ... إن غداً يأتيك بالأنباء

تحركتْ سواكنُ الأقدارِ ... وأطّردتْ عواملُ الأكدار

وحكمَ اللهُ بهجرةِ الوطنْ ... وطالما ابتلَى بها أهلَ الفِطَنْ

فكنتُ أستعدِى على الهمومِ ... بناتِ فكرٍ ليس بالملومِ

أستدفِع الفراغ والعَطالهْ ... وبطلٌ من يقتلُ البَطالهْ

حتى أراد اللهُ أن نظمتُ ... من سِيَرِ الرجال ما استعظمتُ

عِلماً بما تبعثُ فى الأحداثِ ... جلائلُ الأعمال والأحداثِ

إن الصبيّ ما تُغذّيه اغتذى ... فاكثرْ عليه فى المثال المحتَذَى

واخترتُ بحراً واسعاً من الرَّجَزْ ... قد زعموه مركباً لمن عجَزْ

يروْن رأياً وأرى خلافَهْ ... الكأسُ لا تُقوّمُ السُّلافَهْ

وقيمةُ اللؤلؤِ فى النّحورِ ... بنفسه وليس بالبحورِ

شعرٌ لزِمتُ فيه مالا يَلزمُ ... وتركُه أليقُ بى وأحزمُ

والحسنُ مالم يكُ فى الكلام ... عرّضك التحسينُ للملام

جاريتُ بالصّلدِ النّميرَ الجارى ... قد يخرجُ العذبُ من الأحجار

---

(١) الحرب العالمية

دعا التحــــدّى خاطرى فلبّى   يحذو مِثالَ السّلَفِ الألِبّا

وما أيِستُ من كريمٍ يُغضى   ولا أمنت حاسداً ذا بُغضِ

وربما صُغتُ من الأمثالِ   ما جاوز الجُرأةَ من أمثالى

ليجدَ الناشئ فى الجديدِ   من لذةٍ ما ليس فى الترديدِ

فان تجدْ عيباً فكن عينَ الرضى   أو مُرّ مرَّ الكرماء مُعرِضا

لغة العرب

تبارك الرحمنُ ذو الإحسانِ ... مميِّزُ الإنسانِ باللسانِ
لولاه لم ينهضْ بسائرِ النِّعَمْ ... ولا عدا فى الأرض سائمَ النَّعَمْ
فهو أداةُ العلمِ والبيانِ ... وهيكلُ الحكمة والأديانِ
ومفجَرُ الفكرِ والاختراعِ ... ومُستقَى اللَّهاةِ[1] واليراعِ
وصَدَفُ المنظومِ والمنثورِ ... ومُصحَفُ العلومِ والمأثورِ
ومُسكَةُ العُمرانِ بين الناسِ ... على العصورِ وعلى الأجناسِ
رُبَّ لسانٍ جمع الأقواما ... وكان كالجنسِ لهم قِواما
واستمسكتْ واعتصمتْ به الفِطَنْ ... كعُروَةِ المِلَّةِ أو حبلِ الوطنْ
وربَّ شعبٍ نال مجداً باللغهْ ... لم يبلغِ الأقوامُ فيه مبلَغهْ
كانت له فى ظلِّها حضارهْ ... رفَّتْ نعيما وجرتْ نضارهْ
سالت على الأجيال من ضياءْ ... وأَترعتْ قرائحَ الأحياءْ

***

وكلُّ حُسنٍ كامنٍ أو بادِ ... أودعه اللهُ اللسانَ البادى
هذَّبَه العَرضُ على الأذواقِ ... فيما يُقيمُ القومُ من أسواقِ

---

(١) اللسان

على عُكاظَ[1] تتبارى الجِنّهْ ... وفوق ذى[2] المجاز والمجنّهْ
ويخطبُ الكُهّانُ فى المواسمِ ... سجْعَ الحَمام فى الرُّبا النواسمِ
فتأخذُ القبائلُ البيانا ... أخذَكَ من مَعدِنِه العِقيانا
مُهذَّبًا مُنقّحًا مُنقّى ... مُلقّنًا من نفسه مُلَقّى
فى شِرعةِ القول هو النّميرُ[3] ... وهو على عيونه الأميرُ
مِن لفظِ اسماعيلَ فيه حُسْنُ ... تمشّقته فى الرسول اللُّسْنُ
به تحلّى وبه تباهى ... وبَزّ فى الفصاحة الأشباها

***

ولم يزلْ تاجَهمُ الكلامُ ... والأمراء الصَّاغةُ الأعلامُ
مُجَمَّلين باللسان الأبْيَنِ ... بمثلِه يونانُ لم تَزَيَّنِ
حتى حباه اللهُ بالجزيلِ ... واختاره للوحيِ والتنزيلِ
شريعةٌ فجّرها بحرانِ ... بالعلم والحكمة يزخرانِ
طامٍ من الوحيِ فُراتُ المشرعِ ... فى زاخرٍ من الحديثِ مُترَعِ
فاضا على الصيّدِ مُلوكِ البيدِ ... بَنى زُهيرٍ وبنى لَبيدِ
فأوردا القرائحَ القَراحا ... بل وَجدا ماءً فكانا الراحا
فلا تسلْ عن نهضةِ العقولِ ... وكثرةِ المعقول والمنقولِ

---

(١) متسوق للعرب بصحراء بين نخله والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما وقيل شهراً تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون ويتبايعون . (٢) سوقان للعرب من طراز عكاظ . (٣) الماء الصافى .

وما أطال الدين من بُنيانِ ... للعلم فى الدنيا وللبيانِ
ظلّتْ تُعينُ المُصلحينَ الضادُ ... وظل للعلم بهــــا اعتضادُ
حتى استقلّتْ دَولة الرشيدِ ... ونهضتْ بركنها المَشيدِ
تُميرُها فارسُ واليونانُ ... كما تَهادى الزهرَ الجِنانُ
وكلُّ وَردٍ رائعٍ غريبِ ... فى أرض جُورٍ ليس بالغريبِ
ما أخذتْ غيرَ صَفىِّ الرُّوحِ ... كاللطفِ من روحٍ سرَى لروحِ
ترى الدخيلَ بالأصيل أشكلا ... لم يُفسِدِ القومُ عليه الهيكلا
ما وسِــعَ العلمَ والاختراعا ... أرحب منهــا فى اللُّغَى ذراعا
توطّنتْ مُختلِفَ البــلادِ ... واحــدةَ المَغْرِسِ والميــلادِ
كالشمس ، بنتُ الفلَكِ المُدارِ ... وكم على الأرض لها من دارِ
الأرضُ شتّى والبيانُ مؤتلِفْ ... كالراح دارتْ فى إناء مختلِفْ
اغترفَ الوليدُ من جريرِ ... والمتنبّى قائــدُ الضريرِ(١)
وحثَّ فى الشرق النواسىُّ القدحْ ... وفى رُبا الغرب الخفاجىُّ صَدَحْ(٢)
فى كل غنّاء هَزارٌ شــادِ ... وكلُّ ظلٍّ موضِعُ الإنشادِ

***

هـذا لسانُ القوم يا بُنيّا ... على أســاسٍ ثابتٍ مَبنيّا
أوديةٌ تُنضِى(٣) الخيالَ فُسحهْ ... جرتْ عليهـا للجَمال مَسْحهْ
تنزِلُها أوانسُ المعــانى ... بين مَعينِ اللفظ والمعانِ(٤)

---

(١) اشارة إلى أبى العلا . (٢) ابن خفاجه الأندلسى . (٣) تسليه . (٤) المعان المباءة والمنزل .

لسانُك الأولُ في الكُتّابِ ولُغــةُ الصَّبْوَة والعتابِ
فخُضْ عُبابَ فقهِهِ وسرِّهِ وغُصْ على صحيحه وحُــرِّهِ
لا تَرْضَ منــه مَبلغَ الرَّعاعِ وحِصَّةَ الأعمَى من الشُعاعِ
واقرأْ علومَ السّلَفِ الأعلامِ فانهـــا مَعالِمُ الكلامِ
رُبَّ قـديمٍ كشُعاعِ الشَمسِ ابنِ غـدٍ واليومِ وابنِ أمس
وخـلٌّ ما زَيَّفَتِ الليـالى وما نقتْ صيارفُ[1] الأجيـالِ
ولا تضَعْ من الجـديد كلّه يفُتْكَ وضـعُ الشيء في مَحلِهِ
ربّ جـديدٍ عنـده المُعوّلُ وربَّ كنزٍ لم يُثِرْه الأولُ
إن طريقَ العقـل لا يُسَدُّ ومَذهبُ الأفكار لا يُحَدُّ
بين الجديدِ والجـديدِ مَيّلِ لاتتَّبعْ طريقـةَ الشمَيِّلِ[2]
لا تخلِطِ الأعجامَ بالأعـرابِ تَحجلْ — وقاكَ اللهُ — كالغُرابِ!
وكلُّ ما لم يرْمَ عن قوسِ العربْ فليس في نبعٍ لهم ولا غَرَبْ[3]
فاجرِ على محاسنِ اللسانِ تَجَـلَّ في مواطنِ الإحسـانِ
وامشِ بآدابِ الكتاب تهتدِ وقِفْ بأبواب الحديث واجتـدِ
هما هما القـالبُ فيـه يُفـرَغُ ومَعدِنُ الحسْنِ الذى لا يَفرَغُ

---

(١) مارفض النقاد من الأجيال . (٢) كاتب مفكر وطبيب كبير كان يعيش في الجيل الغابر وكان له مذهب فى التجديد يبالغ فيه . (٣) شجر يقال سهم غرب كما يقال سهم نبع وهو شجر أيضاً تتخذ منه السهام .

التـــاريخ

مَن سخّر الصخرَ الأصمَّ للقلمْ	حتى جرى نوراً عليه فى الظُّلَمْ ؟
يُضيء أثناء الصّفا وطوراً	يَنجُدُ كهفاً بالسَّنى وغوْراً[1]
لـكل شىء عُنصُرٌ ومَنْحِتُ	وما أبو الأقلام الا المِنحتُ[2]
كم دُمْيةٍ ممّا جــلا مُخلَّقهْ	مُغنيــــةٍ ما أغنتِ المُعلَّقهْ
قديمةٌ تُعرّفُ الحـــديثا	حادثةً فى الدهـر أو حـديثا
قد نشأ التاريخ فى حِجْر الحجرْ	وشبّ ما بين الكهوف والحُجَرْ
أليس فى الصخر وفى الأديمِ	جُـلُّ حديثِ العالَم القديمِ؟
وياسقى بَرْدِىّ[3] مصرٍ ساقِ	يُمرِعُه من عَـذَبٍ لساقِ
ولا يزلْ رهينةَ الخـــزائنِ	من كـرم ضنينة المدائنِ
يُفدَى وإن جفّ بلِين السّرقْ[4]	ما آيةُ الخـــزّ كآيةِ الورقْ
ســـاق الينـا الثمرَ العُجابا	وأنجبتْ أوراقُه إنجـــابا
لا كالرياحـينِ ولا البقـولِ	لـكن تبنّى ثمرَ العقول

* * *

---

(١) الصفا الحجر وكل هذا اشارة الى النقوش والكتابات فى الكهوف والأحجار. (٢) المنحت المعدن من منحت الحجارة وهو موضع نحتها والمراد النقوش على الحجارة والآثار . (٣) البردى نبات كالقصب كان قدماء المصريين يستخدمون قشره للكتابة . (٤) الحرير .

سبحانَه قصَّ حديثَ آدمِ على تنائى العهد والتقادُم
ورفع التاريخَ أعلى مَنزِلهْ بنصِّه فى كُتبِهِ المُنزّلهْ
بين الأناجيل عَاتْ أصولُهُ وفى الحواميم[1] غَلَتْ فصولُهُ
ألم يكُ التاريخُ ظِلَّ العالَمِ وأقدمَ الأعلام والمعالِمِ ؟
توهَّمَ الخُلْدَ به الأوائلُ وظنَّ أنْ نال البقاء الزائلُ
وطُلِبَ الصِّيتُ به قديما والذِّكْرُ فوق الأرض مُستديما
والنفسُ ترجو هِمَّةَ الخلودِ فى العلم والبُنيان والمولودِ
تَوهُّمُ الحياةَ بعد موتِ وتزعمُ الوجدان بعد فَوتِ
ضاقتْ على النوابغ الآجالُ فكان فى الذكْر لهم مَجالُ
فى كل ذى روحٍ هوى الحياةِ أودعه مُصرِّفُ الآياتِ
فكُنْ إذا أحببتَها فخمَ الهوى لا تكُ والشاةَ على حدٍّ سَوا
انظُرْ إلى الآباء كيف هاموا بالخُلْدِ واحتالت له الأفهامُ
رمسيسُ وهْو فى البناء من هُوَا تعشَّقَ الذكْرَ فغالى فى الهوى
ما زال حتى غَصبَ الآثارا على الملوك قبلَه استئثارا
أخّرَ فى عصورها وقدّمَا وانتحَلَ المُرقَّعَ المُهدَّما
يَسرِقُ آثارَ بنى أبيه وما لِما شيّدَ من شبيهِ

***

مَن دَرَسَ التاريخَ أو مَن دَرّسهْ يمضى الزمانُ وهما فى المدرسهْ

---

(١) سور القرآن .

لا يبلغان فى الكتاب غايه ... ولا الكتابُ بالِغ النهايه
ذاكَ كتابُ الناس والأيامِ ... من آدمَ الجْدّ إلى القيامِ
تأنّقَ الدهرُ به ما شاء ... وأتقن التأليفَ والإنشاء
أنفقَ فيه زمنَ الشباب ... وما أتمّ فيه غيرَ باب
يكبُرُ أن يَطويَه السّجِلُّ ... وعن نوائب البِلى يجِلُّ
عالٍ على كفّ المُغيرِ الماحى ... ولو مشتْ عليه بالرماحِ
مستهزىء بالغاشمِ البليدِ ... تهازؤَ المصحفِ بالوليدِ[1]
لا يَمحى من الجميل ما رسَمْ ... ولا يزول فى القبيح ما وَسَمْ
فان وجدتَ خاطراً مُطالِبا ... ونازعاً من الطباع غالبا
فقِفْ على آثار أعيان الزمنْ ... واغشَ الطُّلولَ وتنقّلْ فى الدِّمَنْ
وعالجِ النجوى والادّكارا ... يُهيّئا للحكمةِ الأفكارا
فالرّوحُ فى التاريخ الاعتبارُ ... وحكمةٌ تُودَعُها الأخبارُ
وخُذْه من مُحقّقٍ أمينِ ... ومَيِّزِ الغَثَّ من الثمينِ
إياكَ والمُؤرِّخَ المِقَصَّا ... ما كلُّ مَن قصّ فقد تقصّى
وقدِّمِ المُعبِّرَ المُبينا ... تجِدْه فى مَظلِمةٍ مبينا
وتَلْقَ منه جَوْهراً أو صائغا ... وتُسْقَ فى الفضةِ عَذْباً سائغا
فمن كريمِ الشعر والبيانِ ... عينانِ فى التاريخ تجريانِ
لولا أوابِدٌ[2] من البوادى ... مشتْ على أيامِها العوادى

---

(١) اشارة الى قصة الوليد مع المصحف . (٢) الأوابد الغرائب .

الشعرُ بعد موتها أحياها ... في شعرها تمثّلَتْ دنياها

وإن ملكتَ مرةً أن تصنعَهْ ... فاخشَ بأن تخلُقَهُ وتصنعَه

وهبْه لم يأمَنْ عواديَ العبَثْ ... أليس كالكِيرِ(١) الذي ينفي الخَبَثْ

ما أقبح الكِذْبَ على الرُّفاتِ ... والكذِبُ من أراذلِ الصفاتِ

من غشَّ نفساً جَمَعَ المظالما ... ماذا ترى فيمن يغشُّ عالَما ؟

---

(١) زق ينفخ فيه الحداد .

الوطن

وجانبٍ من الثرى يُدعَى الوطنْ — مِلْءُ العيونِ والقلوبِ والفِطنْ
مُزَيّنٌ للآدميّ العـــاقلِ — وكلّ سهليٍّ[1] وكلّ عاقلِ[2]
والأسـدِ الخادرِ فى البوادى — والنّملِ فيما اتّخـذتْ من وادِ
ونَزْعـةُ النـاس الى أوطانِهـا — كنَزْعةِ الأبْـلِ الى أعطانِهـا
يُحبّه الأقوام منـــذ كانا — ولا يُساوون به مكانا
إذا أتاهم أيْسَرُ النّـداء — منـه جرَوْا لغاية الفــداء
أو ذُكِرِ الحنـينُ والحِفاظُ — لم تجـــر الا باسمـه الألفاظُ
كم من دماءٍ سِلنَ حولَ حوصهِ — ومن عُروضٍ زُلنَ دون عِرصهِ
وفى ســـبيله قضى رجالُ — من أن يُلاقَوْا تستحى الآجالُ
وباسمه كم تاجَـــرَ الفُسّاقُ — وانقادتِ النـاسُ لهم فساقوا

***

وَتـكرُمُ الدارُ على الحرّ الأبى — كـرامةَ الأمّ عليه والأبِ
وليس من عِرضٍ ولا حريـم — تحميه فوق الوطنِ الـكريـم
الجسمُ من تُربتـه ومائهِ — والرُّوحُ رَوْحٌ هبّ من سمائهِ
وكلُّ ما حولك من هِبـــاتِهِ — وما وَلدْت فهو من نباتِهِ

---

(١) ساكن السهل (٢) ساكن الجبل كالوعل

أمانةُ الأوّلِ عنـــد الآخرِ خِزانةُ الآثارِ والمفـــاخرِ
وحوضُ ما جفّ من الشبـابِ وقَصَفَ الدهرُ من الأحبـاب
ورَسْمُ ما بان من الليـالى وأثرُ الأيام فى الخيـــالِ
ومُخلِقُ الشبـابِ والمشيبِ ومُلبِسُ البـالى على القشيبِ
وفى ثراه البلـقعِ اليبابِ ما شِئتَ من أهلٍ ومن أحبابِ
وَفِى له من ليس بالوفىِّ وهشّ من لم يكُ بالحفىِّ

***

والمُلْكُ كالناسِ له أوطانُ يَنظِمُها للأمم السلطانُ
يَدينُ جنسٌ سائرَ الأجناس ويَدّعى ناسٌ وَلاءَ ناسِ
يأتمرُ الضعيفُ بالقـوىّ ويأمُرُ الراشـــدُ فى الغَوىّ
فى دُولةٍ ممـــدودةِ الطِّرافِ مشـدودةِ البُهرةِ[1] بالأطرافِ
بلّغها العنفُ ذُرَا الإقبـــالِ كالريح تبنى الماءَ كالجبـــالِ
هبّتْ ضُحًى عليـه فاشمخرّا وركدتْ عشيّةً فخـــرّا
روما التى راع اتّساقُ مُلْكها وَهَتْ يواقيت القرى مِن سلْكِها
أمستْ هوتْ عن عرشها المُعظَّمِ وأصبح التـاجُ كأنْ لم يُنظَمِ
لم تتّقِ اللهَ ولا الأيامَا فى أممٍ سبَتْهمـــو أيامى
بنو الزمانِ ، فوقهم بنُوها تكبّراً وسُنّةً سَنُّوهـــا
وما لهم من وطنٍ سواها على تدانى الدار أو نواهـــا

---

(١) الوسط .

كثيرُ أوطانٍ بلا التئامِ   وأمَمٌ شتى بلا وِئامِ
وجَمْرةٌ فى كَبِدِ المنقادِ   ولاعجٌ من كامن الأحقادِ
وكلُّ فأسٍ وقعتْ فى الدار   تنزل بالاس وبالجدار
فحكَمَ اللهُ على الرومانِ   وأدركتْهم سُنّةُ الزمانِ
لِترثَ الأيامَ شبانُ الأممْ   والإرْثُ للشباب حقٌ من أَمَمْ
وأنجزَ اللهُ النبيّ وعدهْ   وساد قومُه الزمانَ بعدهْ
فورثوا قيصرَ فى المشارقِ   وأخذوا الغرب بسيف طارقِ
وأمّنوا الأمصار فاتحينا   وعَدَلوا فى العالَمينَ حينا
واتخذوا كُل القرى أوطانا   وحاسنوا الأهلين والقُطّانا
فحيث حَلّ العربىُّ حيّا   من الملا قبيلةً وحيّا
وشاطر الأرضَ على التساوى   محاسنَ الأقوام والمساوى
حتى انقضى سلطانُهم وزالا   وفضلُهم باقٍ ولن يَزالا
تغيّرتْ كدأبها البلادُ   وانتقل الزّمامُ والمقادُ
ودينُهم بين الشعوب دينُهمْ   يَعيِي على الأيام مَن يَدينهمْ
وذلك اللسانُ باقٍ لم يَزَلْ   يمضى عليه من جلا ومن نزَلْ
لم يبق منهمو سوى الأصواتِ   وعجَبٌ تكلُّمُ الأمواتِ

البيت الحرام

دارٌ عليها مِيسَمٌ[1] من القِدمْ ... حُجّتْ على أول خُفٍّ وقدمْ

مَهدُ الهدى فى الأولين رُكنُها ... وحصنُه فى الآخرين صحنُها

تلك جِباهُ الرُّسْل فِى ترابها ... وخدُّ إبراهيمَ فى مِحرابها

غنيةٌ عما كساها أسعدُ[2] ... فى الدهر وهو بالثناء أسعدُ

وكم جلاَها فى اليمانى الُمسْبَلِ ... من قَبلتْ منه ومن لم تَقْبَلِ

لا تلمسن وشيهاَ ضريرا ... رُب عَروسٍ تلعنُ الحريرا

* * *

تواضعتْ بين شِعاب الوادى ... لم تتخذْ تبذّخَ الأطوادِ

لم تُبنَ بالصُّفَّاح والصَّوانِ[3] ... ولا علتْ تعالِىَ الإيوانِ

لا يدُخوفو[4] أرهقتْ فيها البشرْ ... ولا سليمانُ لها الجنَّ حشرْ

بل صُنْعُ شيخٍ مُقبِلٍ مُزاولِ ... أُعينَ بابنٍ يافعٍ مناولِ[5]

قد رفعاها حجراً فوق حجرْ ... ووضعا فيها على اليُمنِ الحجرْ[6]

اللهُ يُوحى والأمينُ يشهدُ ... وتخشعُ الأرضُ ويعلو المعهدُ

---

(١) جمال . (٢) من كسا الكعبة الوصائل والملاء وأنه اول من كساها . (٣) الحجارة العظيمة. (٤) فرعون مشهور . (٥) هما ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . (٦) الحجر الأسود.

حتى تجلتْ قبةَ الإيمانْ ... ممدودةَ الظل على الزمانْ

وركنُها كأمسِ في أم القرى[1] ... تُطوى القباب والقصورُ والقرى

دعائمٌ من خَشيةٍ وتقوى ... على تطاول الزمان تقوى

وما بنى الحقُّ له الثبُوتُ ... وما بنى الباطلُ عنكبوت

تقبَّل اللهُ من الحوارى[2] ... واختصَّ بالبيت وبالجوارِ

واختار من عباده قبيلا ... للبيت يهدونهمو السبيلا

أولو الإله الكرماء عهدا ... النازلو البيتِ العتيقِ مهدا

الراضعو زمزمَ في الهواجرِ ... وهى تدرُّ من بنانِ هاجَر[3]

غُرَّةُ آبائهمُ الذبيحُ[4] ... والأمهاتِ جُرهُمُ الصبيحُ[5]

أبناء إسماعيلَ حول بَكَّهْ[6] ... تضوّعت منهم شِعابُ مكَّهْ

بيتهمو محبوكةٌ مفاخرُهْ ... أولُه نبوّةٌ وآخرُهْ

* * *

انتشروا قبائلا على الزمنْ ... مِلْءَ الحِجاز والشآمِ واليَمَنْ

بَدْوٌ بكل نَشزٍ وقاعِ ... وحَضَرٌ في عامرِ البقاعِ

تنقلَتْ فيهم دياناتُ الأُوَلْ ... تنقلَ الأيام فيهم والدُّوَلْ

والدِّينُ بين القدماء عَدْوَى ... يقطعُ أجوازَ القِفار عَدْوَا

نارُ المَجوس وجدتْ مجازا ... وابنُ سنانٍ[7] أنقذَ الحِجازا

---

(١) مكة . (٢) ابراهيم عليه السلام . (٣) زوجة ابراهيم عليهما السلام . (٤) اسماعيل .
(٥) جد حى من العرب البائدة . (٦) بطن مكة . (٧) فى ابن الأثير أن ناراً ظهرت ببلاد العرب في الجاهلية فكانت فتنة لهم وكادوا يتمجسون فأطفأها خالد بن سنان العبسى .

بقيــةٌ تؤمنُ بالجليـــلِ يتّبعون مِلّةَ الخليـــلِ
وعُصبةٌ على هُدى الأحبـــار أهلُ كتابٍ يعبدون البارى
آلُ ابنِ عِمرانَ أو ابنِ مَريَما فمن بهاتيك الشِعاب خيّما ؟
وفرقةٌ دَهريةٌ جُحّـــادُ عن كل دينٍ لهمو إلحادُ
وآخرون افتتنوا بالنـارِ أو سجدوا للكوكب المُنارِ
أو ألّهوا ما نحتوا من الحجرْ أو عبدوا ما استنبتوا من الشجرْ
وغيرُهم بالحيوانِ دانا وقدّسَ الأرواحَ والأبدانا
كلٌّ من الحـــيْرةِ والضلالهْ يعشو[1] الى القوةَ والجـــلالهْ
قد هجروا الشمسَ الى الاياةِ[2] وجاوزوا المُحيِ الى الحيـــاة
وبلبلت ألسُنَهمْ أسمـــاء فكثُرتْ فى حُبِّهـا الاسماء

* * *

مكّةُ دارُ المُلكِ والبيتُ الملكْ تُمسى الوفود[3] فى سُراها تهتلكْ
واتفقوا فى الحب والتجلّهْ على اختلاف مذهبٍ ومِلّهْ
يجمعُهمْ من كل سهلٍ وجبلْ ضوابحَ[4] الخيل روازحَ[5] الإبلْ
يَسْـــدِنُ[6] ساداتُهمُ قبابَه ويحجُبُ الصِّيـــدُ السُّراةُ بابَه
وهاشِمُ الشُّحْبُ سقاةُ الوفد الغامرون غيرهم بالرِّفد[7]
دارٌ لأقوامٍ مُجـــاورينا ومَنسَكٌ[8] طُهْرٌ لآخرينا

---

(١) يجيء الى . (٢) الشعاع . (٣) مسيرها بالليل الى البيت . (٤) أى تسمع أنفاسها من شدة العدو. (٥) أى منطرحة ابلهم أعياء. (٦) يخدم. (٧) الرفد العطاء. (٨) متعبد.

وَمَوسِمُ السَّوْمِ(١) والاكتسابِ ونَدْوَةُ النـــداءِ بالأنسابِ
ومِنْبَرٌ حَفَّتْ به القبــائلُ إيادُ(٢) من أعواده ووائلُ
قِسٌ في النُّهى قُسًّا(٣) الى سُقراطِ يَتَّزِنُ القيراطُ بالقيراطِ
كانَ مَسيحيًّا وكان فاضلا وكان عن حقيقةٍ مُناضلا
مُحمدٌ من ناقلي عِظــاتِهْ والصاحب الصِدِّيقُ من رُواتِهْ
وحَرَمُ الآداب والأخلاقِ . وكيف لا وهو حِمَى الخلاّقِ
لا يُنطَقُ الهُجْرُ به والإفكُ ولا يَحِلُّ للدماء سَفْكُ
ومَعبَدٌ مُشــتَرَكٌ مُشاعُ(٤) كلُّ العبادات به مَشــاعُ
أعجبُ منـــه لم يرَ الأنامُ يُعبدُ فيـــه اللهُ والأصنامُ
فالبيتُ حالى الجنباتِ عاطِلُ يجاورُ الحقَّ عليه الباطل
يُحَجُّ للـــبرِّ وللخِلالِ وتارةً للهِ ذى الجـــلالِ
كلُّ فريقٍ حول ما أحبَّا وكل قوم يعبدون رَبَّا
تسمَّح للعـــرب القُروم لم يُلف في الفرس ولا في الروم
سُقراطُ لو جاورهُمْ مُعافَى لم يَذقِ السجنَ ولا الزُّعافَا

---

(١) المساومة . (٢) اياد ووائل قبيلتان . (٣) عربي خطيب حكيم . (٤) المشاع والمشاع واحد وهو غير المقسوم .

السيرة النبوية الشريفة

مُحمدٌ سُلالةُ النُّبُوَّهْ ... ابنُ الذبيح[1] الطاهرُ الأبُوَّهْ
العربىُّ طينةً نبيلهْ ... القُرشىُّ الباذخُ القبيلهْ
أبوه ذو النورِ الجميلُ الجَعْدْ ... ومُرضِعوه الفُصحاءُ سَعدُ[2]
وبيتُه النجمُ الرفيعُ شهرهْ ... ونبعتاه هاشمٌ[3] وزُهْرَهْ

***

قد نزل اليُتْمُ به جنينا ... لم يتهيَّبْ سيدَ البنينا
فنهضتْ بأمره العنايهْ ... تُحسِنُ فى نشأْتِه البنايهْ
لما حواهُ آلُه يتيما ... حوى فريداً سِلكُهم يتيما
من شَيْبَةَ[4] المباركِ الأغرّ ... الى أبى طالبِ الأبرّ
ولا حُنُوّ كحُنُوّ الجَدّ ... ورُب عمٍ من هِبات الجدّ
فشبّ حُلواً[5] سَمتُه ودَلُّهُ ... ليس له من اليتيم ذُلُّهُ
مُرتسِماً فى أدب الاسلامِ ... من اجتناب الخمر والأزلامِ[6]
مُنحرفاً عن الدُّمَى صبيا ... وهكذا من يُجتبَى نبيا

---

(١) اسماعيل . (٢) حى من العرب . (٣) هاشم أبو عبد المطلب جد رسول الله لأبيه وزهره أبو عبد مناف جده لامه وكلاهما من سادات العرب . (٤) اسم عبد المطلب جد رسول الله . (٥) السمت حسن الهيئة والدل السكينة والوقار وحسن السلوك . (٦) سهام كانت الجاهلية تستقسم بها .

مُبرّأً من نَزَقٍ وطيشِ ... وخُيَــلاءِ فى بنى قريشِ
مُلقباً فى البــلد الأمينِ ... دون بنى الأعيان بالأمــينِ
مُجَمّلاً بالصــدقِ فى صبائهِ ... والصـدقُ كان من حُلَى آبائهِ
حتى جرى لغــاية الرجالِ ... فلم يزل مُجلَّيَ(١) المجــالِ
فات قريشاً بمــكارم الخُلُقْ ... مثـلُ ابنِ عبد الله للسبقِ خَلِقْ
قد حاز من مواهب السعادهْ ... ما لا يحوزُ بَشرٌ فى العـادهْ
أكرمُ من صَوْب الحيا نصابا ... وأجودُ النــاس بما أصابا
وقائدُ الخيــلِ فتًى وكهلاَ ... وكان فى المهـد لذاك أهـلا
إن حاد فى الـكرب الكماةُ لم يَحِدْ ... قد علمتْ ذاك حُنَيْنٌ(٢) وأُحُدْ
وذائدُ الحقوق والمُحــامى ... عن جارِه وواصلُ الأرحامِ
الأصبحُ الأفصحُ فى المجامعِ ... الُحْلوُ فى العيون والمسامعِ
إن الجمالَ حِليَةُ الأقمــارِ ... ما أضيعَ الحسنَ على الأغمـارِ
من جرْيَةِ الوحى على لسانهْ ... أعيـا المجيـدين مدى إحسانهْ
حديثُه حلاّه إسماعيــلُ ... وبلّهُ بريقــهِ جبريلُ
حِلْيـةُ مَن صاغ الكلام وعَـلِمْ ... وكيف لا وهو جوامع الـكَلِمْ

***

كان رسولُ اللهِ فى شــبابهِ ... لا يَدعُ الرزقَ وطَرْقَ بابهِ
أىُّ رســولٍ أو نبيٍ قبـلَهُ ... لم يطلبِ الرزقَ ويَبْغِ سُبْلَهُ ؟

---

(١) الجواد الأول فى السبق . (٢) من غزوات رسول الله .

مُوسَى الكليمُ استؤجر استئجارا وكانَ عيسى فى الصِّبا نجّارا
من أحسن الأمثالِ فيما أحسَبُ الخُبزُ لا يُعطَى ولكن يُكسَبُ
والرزق لا يُحرَمُه عبدٌ سعى مُضيقاً عليه أو مُوسَّعا
لا تألُ لا سعياً ولا تُكلانا لا ينفعُ التوكلُ الكسلانا
كان قُبيْلَ البعثِ رَبَّ مالِ وتاجراً مُيسّرَ الأعمالِ
يَضربُ فى حَزْنِ الفلا وسهلِهِ بمالِ عمّه ومال أهلِهِ
مُبارَكَ الرِّحلةِ والإقامهْ مستصحِبَ الجِدِّ والاستقامهْ
وليس للتاجر من ضمانَهْ أبقَى ولا أوْفَى من الأمانهْ
والرزقُ بين الناس بحرٌ جارِ شِراعُهُ يُرفَعُ للتجّارِ
وما تلقَّى الرزقَ باليمينِ فى الناس مثلُ التاجرِ الأمينِ
فاسترزقِ اللهَ وقِفْ ببابِهِ واكسِبْ فأهلُ الكسب من أحبابِهِ
لا بدّ فى هذى الحياة من أدبْ لمن تصدّى للأمور وانتدبْ
فأدبُ الصانع إتقانُ العملْ وأدبُ التاجرِ بالصدق كَمَلْ

* * *

لما أخالَ(١) الرشد والهدايهْ وانقشعَ الضلالُ والغوايهْ
دعاه داعٍ لم يكنْ بالبالِ إلى انتياب أرْؤُسِ الجبالِ
يصعَدُ مثل (النجم) فيها مُوفيا(٢) وينزِلُ (الكهفَ) بها مُستخفيا(٣)
وكم أواها خالياً بنفسهِ وفاز من وَحدتِه بأُنسِه

(١) بشر بالخير . (٢) أى مشرفاً . (٣) كضوء النجم في الكهف لا يراه من في الخارج .

عالجَ فى (المعارج) (الإسراء) وبَدَلَ (الطُّور) ارتقى (حِراءَ)

بات على (الإخلاص) (والإيمان) وطالت (السجدة) (للرحمن)

(والكافرون)فى(قريشٍ) (والبلدْ) (لم يكنِ) الأمرُ لهم على خَلَدْ

حتى أتى (الفتحُ) وجاء (النصر) واستقبل(النبَا) العظيمَ (العصرُ)

وهبط (النورُ) عليه وَحْيًا ونزل (الفرقان) فيه مَحيا

مُنَزَّلاً بحسَب الزمانِ مفصَّلَ اللؤلؤ والجُمانِ

فى كل ليلٍ أونهارٍ آيهْ كالشمس أوكالبدر بُعدَ غايهْ

جامعةٌ بين البيان الرائعِ وبين عُليا حِكَمِ الشرائعِ

ولم يزلْ نزولُه مُفرَّقا مُشرَّفًا به الحِجازُ مُشرِقا

مُسايِرَ النبيّ طولَ عُمْرِهِ ونورَه فيما دجى من أمرِهِ

حتى إذا أمسى القضاءُ مُحَمَّا تمتْ حياةُ المصطفى وتمَّا

***

كان ابتداءُ الوحيِ فى حِراءِ فاتحةَ الرسالة الغرّاء

اللهُ خيرَ خَلْقه أعطاها وحمّلَ الأمرَ العظيمَ طه

أرسله قلادةَ النظام عصماءَ عِقدِ الرُسُلِ العِظام

فجاء بالخير ذوى قُرْباه مَن قَبلَ الرُشْدَ ومَن أباه

ناجاهمو ببيّناتِ ربّهِ فآمنتْ (بنتُ خُوَيْلدٍ[1]) بهِ

فقيل فيها أسبقُ الإناثِ وفى علىٍّ أسبقُ الأحداثِ

---

(١) السيدة خديجة زوجة رسول الله .

وفى الرجال لِأبى بكرٍ يدُ ... بالسبق لم يبلُغْ مداها سيّدُ
وكانت الدّعوةُ بالكتابِ ... وحجةِ اللهِ على المرتابِ
فلم تزلْ حتى انثنتْ بحَمزةِ ... وانقلبتْ بعُمَرٍ فعزّتِ(١)
ودخل المستضعَفون(٢) فيها ... كلُّهمو خوف الأذى يُخفيها
عُذِّبَ بعضهم ربيطَ الجاشِ ... وبعضٌ التجا الى النّجاشى(٣)
وصبَرَ الداعى على البذاءِ ... وما يُلاقيه من الإيذاء
فما مقالُ الجاهلِ المفنَّدِ ... تأسّس الإسلامُ بالمُهنّدِ ؟
أمَن يسُلُّ سيفَه يستخفى ... ويحملُ الخسفَ لأهل السُّخْفِ !
من استطاع أخذ شئٍ عَنوهْ ... كان له عن العلاج غنوهْ(٤)

***

نال الرسولَ الضُّرُّ من عداهُ ... وبلغ الأذى به مداهُ
ومات من آوى وربّى واصطنعْ ... وذاد عن خير البنينَ ومَنعْ(٥)
وحائطُ الدّعوةِ فى أساسِها ... ورُكنُها قبل اشتداد بأسِها
وارتْ أبا طالبٍ الأحجارُ ... فأعوزَ الحامى وعزّ الجارُ
وركِبتْ متنَ هواها هاشِمُ ... وجال غاويها وصال الغاشِمُ
وكان من أخشِها أبو لَهَبْ(٦) ... عمٌّ، ولكن مَذهَبَ السوءِ ذَهبْ
فقتْ الهجرةُ وهى مُرّهْ ... ما وُصفتْ إلا لنفسٍ حُرّهْ
سبيلُ موسى فى الزمان الأوّلِ ... ومذهبُ الروح ولمّا يُحوِلِ(٧)

(١) نصرت وتأيدت . (٢) الذين يرى عليهم الضعف . (٣) ملك الحبشة . (٤) أى غنى . (٥) هو عمه أبو طالب . (٦) عمه المذكور فى القرآن . (٧) عيسى عليه السلام ولم يكن اكتمل حولا .

ومركَّبُ الأفراد والأعلامِ ... وخصَماء الظلم والظُّلامِ
ما أجملَ الهجرةَ بالأحرارِ ... إن ضنّتِ الأوطانُ بالقرارِ

***

تأمّلِ الرّسلَ الكرامَ واعتبِرْ ... إن العظيم للعظيم يصطبرْ (1)
ما أصعبَ الدعوة فى البدايهْ ... حتى على الرُّسْلِ أولى الهدايهْ !
وأثقلَ الحقّ على الجماعهْ ... إن وُجدتْ أُذْنٌ له سمّاعهْ
والناسُ فى عداوة الجديدِ ... وقبضةُ الأوهام من حديدِ
هاجر من أمّ القرى مأذونا ... وما درى أو سمعَ المؤذونا
فى ليلةٍ للختْل كانت مَوْعِدا ... قد نصبتْها شَرَكاً أيدى العِدا
ائتمرتْ فى النّدوةِ (2) الأعيانُ ... وانتدبتْ للفتكةِ الفتيانُ
وقعدوا ناحيةً كَمينا ... ليغدروا فى داره الأمينا
فخرج اللهُ من البيت بهِ ... لم يرَهُ الجمع ولم ينتبهِ
وسار فى ركابه الصِدّيقُ ... وفى البلاء يُعرفُ الصّديق
فانتشرتْ خيلُ قريشٍ تطلبُهْ ... من ينصرِ الرحمنُ من ذا يَغلِبُهْ ؟
مرّوا على الغار مُضلَّلينا ... وأخذوا السُّبْلَ مُسائلينا
حتى بدتْ سيدةُ الأمصارِ ... وبَلدةُ الأعيان والأمصارِ
وكان فيها للرسول شِيعهْ ... وعُصبةٌ سامعةٌ مُطيعهْ
قد عرضوا بمكّةَ المبايعهْ ... وبذلوا فى المَوْسِمِ المتابعهْ (3)

---

(1) اشارة الى هجرة أكثرهم وتجرعهم غصة الخروج من الديار . (2) دار الشورى .
(3) متابعته على دينه الحق .

وكان إيمانُهمـــو فى السرّ خوفَ قُريشٍ واتّقـاءِ الشرّ
فكان للقادمِ منهم أهـــلُ ومنزلٌ رحبُ الفِنـاءِ سَهلُ
باليُمْنِ ألقى رحلَه فى الخزْرجِ كأنّه من أرضِـــه لم يَخرجِ
وامتنعتْ يَثربُ[1] فى النبُوّهْ وامتـلأتْ من مَظهرٍ وقوهْ
واجتمعتْ حول الهـدى لواءِ يُحاربُ الضـلالَ والأهواءِ
كلّ غَـــزاة للنبيّ حقّه لم يَعْدُ فى حرب قريشٍ حَقّهْ
ليس سـواءً كلّها العَوان[2] لا يستوى الدفاعُ والعُدوان
وربّ صالٍ نارَها لم يَجنِها وإن يكنْ من شُهْبِها وجِنّها
هم بلغـــوا نهـــايةَ التمرّدِ وطرّدوا الإسلامَ كلّ مَطْرَد
وصادروا الأمـــوالَ معتدينا وناصبوا محمّدا والدينـــا
وهادنوا ثم بغوْا فناهـدوا ونقضوا ما أُبْرمَ التعاهـــد
فكانت الحربُ لدفعِ الحَيْفِ قد تُؤخَذُ السِّلْمُ بحد السيف
وكان (بدرٌ) مطلعَ الأيام ورفعةَ الصـــلاة والصيام
وأوّلَ العهـــدِ بعزّ المِلّهْ وبارتـــداء المشركين الذِّلّهْ
و (أُحُـــدٌ) جالوا بها وجالا وانكشفتْ بينهما سِجالا
خـيرُ الأُساة كان من جَرحاها دارتْ على ثبـــاته رحاها
خالف فيهـــا المسلمون رايَهْ والحربُ للقائد ذى الدّرايهْ
و (خَيْبرٌ) كانت مع اليهودِ لنقضِهم مُوَكّد العهودِ

---

(١) المدينة . (٢) الحرب العظيمة .

ودَسَّهمْ عليــــه فى قريشِ وعَونِهمْ عليـــه كلَّ جيش

كيلوا بسيف الحق كَيْلَ السندرهْ ولم يقفْ مَرحَبُهم لحيْدَرهْ (١)

فلم يدعْ حصناً عليهـــا قائمـا ولم يَعـــدَّ الفاتحُ الغنـــائما

وما يهودُ بالسِّخافِ الأغبيـــا إذ ظاهروا الشِّركَ عدوَّ الأنبيا

إنى أظنُّ الحرصَ منَّى القوما أنْ سيسودوا بالحجاز يوما

وأنَّ دِينَهم بذاكَ أجدَرُ وأنهـم على قريشٍ أقـــدرُ

وفى حُنينٍ عظُمَ البـــلاء وحلّتِ الألطافُ والآلاء

اغترَّ فيهـــا المسلمون كثرهْ وللغـــرور بالرجال عـــثرهْ

أنساهمُ الحطامُ ذِكرَ الساعه فمال نصرُ الله عنهم ساعـــهْ

لولا رســـولُ الله فيهم بادوا وأصبحوا يرويهمُ العبـــادُ

أُيِّدَ بالصـــــبر وبالثباتِ والرابطينَ البُهـــمِ الاباةِ

ونزل النصرُ من السماء مُـــؤَزَّراً مُجَلِّيَ الغمَّاء (٢)

فكان للهادى عُلوّ شـــانِ وغيظَ كلّ حاسدٍ وشانِ

***

قفْ بقريشٍ بعد بدرٍ وسَلِ ما غرَّها بابن أبيها المرسَلِ ؟

أحسداً، والأهلُ أهلٌ للحسدْ لو استطاع أنكر الرأسَ الجسدْ

أولُ محسودٍ هو القـــريبُ والفضـــلُ فى دياره غريبُ

تريدُ حـــربا ويُريدُ سِلماً تَزيدُ جهـــلا فيَزيدُ حلما

---

(١) هو على عليه السلام ومرحب بطل اليهود. (٢) أى كاشف الغمة.

هم مَنعوه الرُّكنَ والمقَاما ... وسِيمَ بالمدينـــــة المقُاما
أرادَ حربَهمْ فسِيل صفحا ... وهمَّ بالفتح فقيــــل صُلحا
عاهـــدهم فأخلفوه الموْثِقا ... وركبوا الغدرَ الوبيلَ المُوبقاَ
بَغوْا على أحلافهِ الكِرامِ ... جــيرتهِ بالبلد الحــرامِ
فاستصرخوه فأتى من طيْبهْ(١) ... كالسيل يُرجى رعدَه وسَيْبَهْ
وفُتحتْ مَكةُّ للإســــلام ... وحلّ فيها ظافرَ الأعــلامِ
ونُزّهَ البيتُ عن الأوثانِ ... واللهُ عن ندٍّ له أو ثانِ
ورَفقَ الغالبُ بالمغــلوبِ ... فكان أيضا فاتحَ القـلوبِ
أطلقهــم ومَنّ بالأمانِ ... فالطُّلقاء هُمْ عــلى الزمانِ(٢)
وكان من تسويةِ الاسلامِ ... وجعلهِ الفتاةَ كالغـلامِ
بَذْلُ النساءِ كالرجال البيْعهْ ... لا يُشتــكى لحقّهنّ ضَيْعهْ
مستقبلاتِ المصطفى خلفَ الخُمُرْ ... يأخـــذُها له عليهنّ عُمَرْ(٣)
بايعن حتى هنـدٌ(٤) المناضلهْ ... على الوَلاء والخِـلال الفاضلهْ
وظلتِ الدعـــوةُ فى يسارِ ... السيفُ يحمى والكتابُ سارِ
وبُعثَ الرُّسْلُ الى الأحياءِ ... يُحيُون فيها ميّتَ الأحيــاء
يَمضون لله وللرســولِ ... وينثنون بيــلوغ السُّولِ
وكم أتتْ من دونها آجالُ ... ومات دون الواجب الرجالُ

---

(١) المدينة المنورة. (٢) هذا لقب أهل مكة بعد أن أطلقهم رسول الله وأمنهم. (٣) كل هذا اشارة الى مبايعة عقائل قريش اياه عليه السلام. (٤) هند بنت عتبة أسلمت وبايعت وكانت تؤذى رسول الله قبل الفتح.

حتى أظلّ العربَ الإسلامُ ... وشَمَلَ الجــزيرةَ السلامُ
وبلغ الصُّمَّ بلاغُ الداعى ... وأسمعتْهمُ حَجَّةُ الوَداعِ (١)
هناك حان أجــلُ الطبيبِ ... وحَــكمَ المحبُّ فى الحبيبِ
سبحان من له البقاءُ دون حــدْ ... وليس فوق الموت غيرَه أحدْ

---

(١) آخر حجة لرسول الله خطب فيها وبلغ وأرى الناس مناسكهم وعلمهم حجهم .

الخلفاء الراشدون

الخلفاء الراشـــدونَ أربعَهْ　　مَرضِيّةٌ سُنّتهمْ مُتّبعـــهْ
فى الذِّكْرِ لم يُغْفَلْ لهم حَديثُ　　وذِكْرُهمْ سَــيِّرَهُ الحـــديثُ
العُمَران[1] وابنُ[2] أرْوَى وعَلِى　　فى الذّروةِ الشمّاء والأَوْجِ العَلِى
خلائفُ اللهِ أئمةُ الهُـــدَى　　وَطَّأُ للحقِّ بهمْ ومَهَّدَا
كلّهمو ابنُ أمسِهِ ويَوْمِهِ　　عِمادُ دارِهِ عَميـــدُ قومِهِ
هُمُ النجـــومُ فى سماءِ غالبِ　　ومطلع الهادى المنـــيرِ الغالبِ
نَماهمـــــو كما نَماهُ فِهْرُ[3]　　فبينهم واشـــجةٌ وصِهرُ
معـــادنُ الوفاء والاخاء　　صَحابةَ الشِّـــدّةِ والرَّخاء
ما مَنَعـــوا اللهَ ولا نبيَّهْ　　قيـــادَ نفسٍ سَمْحةٍ أبيّهْ
وما الحَوارِيّونَ خَلْفَ عيسى　　أحثَّ منهم للنجاةِ عِيسَـــا[4]

* * *

رُعاةُ شـــاءٍ وتِجـــارُ مال　　كالرُّسْلِ فى هـــذا وفى الكمال
قد كفلوا الاســـلامَ فى صباهُ　　فأيّهم نادَى دَعى أباهُ
بالنفسِ والنفيس أيّدوهُ　　وبالقنـــا والرأى شـــيّدوهُ

(١) أبو بكر وعمر . (٢) عثمان . (٣) هو أبو غالب سيد قريش ومن أجداد الرسول .
(٤) العيس الابل ، أى هرباً من الدنيا وطلباً للآخرة .

وأمّنوا ديكَ الهـــدى فصاحَا　　وآمنـــوا بفجره مُنصـــاحَا
كلهمُو فيـــه المجيبُ الأو　　عطوْه غايات الرضى ونوّلوا
فاسبقْ إذا الحقُّ دعا مستنصِرَا　　وكنْ إذا عُدَّ الحماةُ الْخِنْصَرَا
ما حَمَـــل النفسَ على الأشقِّ　　كقائل الصـــدقِ وحامى الحقِّ
حتى جبا الأرضَ اليهم مَنْ جبَا　　وملـكوا الدنيـــا فكانوا أعجبَا
حدِّثْ عن الخليفـة الخميصِ(١)　　والمَلِكِ المخرّقِ القميص
مثـــل الجوادِ زانه الإضمارُ　　والشمسِ زادت حسنَها الأطمارُ
لا يعقـدون فى الجباهِ المسجدَا　　بل الـــترابَ للمليك سُجَّدَا
وتحتَ أقدامهم التيجـــانُ　　يندبُها اللؤلؤُ والمَرجانُ
كسرى ببطنِ الأرض عطّل المفرقِ　　وقيصرٌ يندُبُ تاجَ المشرق !

---

(١) الجائع.

خلافة أبى بكر الصديق

سبحان من يُنِيمُ كيف شاء ساس الورى من كان يَرعى الشاء

يقود بعد إبلِ ابن عَامرِ [1] مادَبّ فى غامِرها [2] والعامرِ

مما سموّ الثـاقب السيّارِ والخيرُ عُقبى صُحبةِ الأخيارِ

من أُيِّد الحقُ به تأيّدا وعاش أو مات كريماً سيّداً

وكلُّ عزّ فى ظِلال الباطِلِ نسجُ عناكِب وخَيطُ باطلِ

كم شوّه الباطلُ حين سوّدا كالنار تعلو بالدُخان أسودا

لمـا أهاب بالرسول الداعى وآذن الجُثمانُ بالتداعى

ولّى أبا بكرٍ على الصلاةِ وتلك عليـا رُتَبَ الولاةِ

فبـايع الطائعُ والأبىُّ طوبى لمن بايعـه النبىُّ

وكان ما لم يكُ منه بُدُّ أقضية الرحمن لا تردُّ

أصابت الفتنةُ والحبـائلُ ونَـكَست بعد الهدى القبائلُ

وثاب أقـوامٌ الى الأوثان وقام غاوٍ وتلاه ثانِ

تنبأ فلقيـا نجـاحًا واتّبعت طائفةٌ سَجاحا [3]

واضطرب الحبل وماجت الزُمَرْ واقتحمَ الفتنةَ فابتلّ عمرْ [4]

---

(١) هو عثمان بن عامر ابوه رضى الله عنه . (٢) الغامر من الأرض هو ما ليس بالعالى .
(٣) امرأة من العرب ادعت النبوة . (٤) هو عمر بن الخطاب قد كاد يفتتن من شدة جزعه على رسول الله .

يومٌ كيوم السامِرىّ (١) لولا	دَفْعُ أبى بكرٍ وعونُ المَوْلَى
غُمَّ على الحِجاز ، فاسـتـرابا	نزولُ ذاك القمرِ الترابا (٢)
جلىّ الامامُ يوم ذلك الغُمَمْ	إن المهماتِ ميادِينُ الهِمَمْ
أعين بالتأييد والتسديد	وفتيةٍ بُنوا من الحـديد
من كل سيفٍ سلّه المختـارُ	ماضٍ فِرِنْدُه الصّبا بتّارُ
أُسامةُ (٣) الأسماء والأفعالِ	أجرى من الهلال للمعالى
قد نصروا اللهَ وبرّوا الهادى	ووصلوا الجهـادَ بالجهادِ
وأصلوْا الشركَ الحروبَ الغابرهْ	واستأصلوا شأفتـه ودابِرَهْ
ورفّت السِّلْمُ على الجزيرهْ	صافيـةً حياضها غزيرهْ
وحُبِّبَ الفتـحُ الى الامامِ	لا بدّ للبُنيانِ من تَمـامَ
فانساحت الكتائبُ انسياحَا (٤)	أرسلها من يُرسـلُ الرياحَا
خيـلٌ لَمَسْنَ أثرَ البُراقِ	بُورِكَ للشـامِ وللعراقِ
اليُمْنُ من غُرّتِهـا للحافرِ	ومَتْنُها من ظافرٍ لظافرِ
يقودُها ألويةُ الجهـاد	أشهادُ بدرٍ أو بنـو الأشهاد
فكانت البصرة أولَ الثمرْ	ثم ترقى فى المنـازل القمرْ
وفتَحَ الله على القـوّاد	مفـاتح النهرين والسواد (٥)
واقتحموا الشامَ فزال شُومُها	وضاق ذرعا بهـمُ غَشُومُها

(١) اشارة الى فتنة بنى اسرائيل بالسامرى . (٢) أى موت الرسول عليه السلام . (٣) علم جنس على الأسد . (٤) اندفعت . (٥) هو سواد العراق اى ريفه .

وسلكوا الجبالَ والفُروجا[1] وملكوا كالشُهُبِ البروجا

ونازلوا الرومَ بأجنادينا فكان دنيا لهمو ودينا

يومٌ، على ما شابه، سعيدُ قد تكدُرُ الأيام وهى عيدُ

فما ثنى القومَ عن القتال نَعِيُّ والٍ أو بشيرُ تالِ

فَتْحُ الفتُوحِ كانَ حِصتَيْنِ تناصفا بينَ الخليفتينِ

حوى العتيق[2] مُبتدا مفاخِرهْ وأحرز الفاروق[3] عِزَّ آخِرهْ

***

فيا أخا الضرّاء والشدائدِ والناسُ إخوانٌ لدى الفوائدِ

وسابقَ الآل الى التصديقِ وآوىَ الغار مع الصِّديقِ

وباسطَ اليمين والشمالِ وتُعرَف الرجالُ عند المالِ

وقدوةَ الزُّهّادِ بعد الهادى وصاحبَ الهجرةِ والجهادِ

وكاسى الأراملِ الحُرّات وحالبَ الأغنام للجارات[4]

ويا رحيما قلبُه رقيقاَ بماله كم حَرَّرَ الرقيقا

ومن قضى بعد غنًى فقيرا لم يجدوا فى بيته نقيرا

ذهبتَ بالخير واتعبتَ عُمَرْ يا ويحَ مَن بعدَ أبى بكرٍ أمرْ

رأيتَ فيه ما رأى اللهُ لكا فكان فضلَ اللهِ ثم فضلَكا

عهدا كما جُمعةٍ فى عيدِ فى ظلِّ يومٍ بَهِجٍ سعيدِ

اللهُ زفّ الفتحَ فيه وهَدَى الى قَنا الحقِّ وراياتِ الهدى

---

(١) الفروج متون الأودية أو متون الطرق . (٢) أبو بكر الصديق . (٣) عمر .

(٤) كان رضى الله عنه يحلب الغنم لجاراته .

الشمس لو كانت تُخَطُّ مَضجَعاَ والبــــدر لو كان يقِلُّ الهُجَّعاَ

والصَّـدَفُ التامَ على اليتائمِ من فَردِ اللؤلؤِ والتوائم[1]

والغِمدُ لو يَسكنه ســـيفان والجفنُ لو ينزلهُ طيفـانِ

واللفظُ راق واحداً وَرَاعَا حولَ معانٍ دقّت اختراعا

كروضةٍ وارتَـكُما بالقـــاعِ من طينةِ الجنةِ لا البِقاع

خيرُ الأَنامِ وَردُها المصونُ وأَنتما الأوراقُ والغصون

صحابةُ الدنيـــا رفاقُ البرزخِ وإصبعٌ تحتَ الثرى كفرسخ

الا مقاماً قَتُما لن يَقبلاَ تصرّفَ الدهرِ ولا حُـكْمَ البلى

---

(١) توائم النجوم او اللؤلؤ ما تشابك منها .

خلافة عمر بن الخطاب

مضى أبو بكرٍ ، وولاّها عمرْ — الشمسُ لا تُخلفُ إلا بالقمرْ
ما مال حائطُ الهدى حتى اعتدلْ — والركنُ إن سَدّ من الركن بدلْ
بزاهدٍ قام مكانَ الزاهـــدِ — مُجاهدٍ نابَ عن المجاهـــدِ
قلّده فى نزعهِ الصـــلاةَ — إن الوُلاةَ تَرِثُ الولاةَ
بالمؤمنين نهض الأمـــيرُ — مضطلِعٌ بأمـــرهم شِمّيرٌ(١)
يوماه فى الصُّحبةِ والإمامهْ — كلاهما السَّرْحة(٢) والغمامـه

***

إسلامُه للدين كان عِزّا(٣) — رنّح عِطْفَ المصطفى وهـــزا
صُلِّيَ فى الكعبة لمّا آمنا — وطاف بالبيت الطريدُ آمنا(٤)
وكان فى دين الجدود صُلباَ — لا يأتلِى الدين الجـــديد ثَلْباَ

***

ثار الى حيث النبيُّ مُوعِـــدا — ومبرقاً بسيفه ومُرعـــدا
فجاءه مُوحِّـــدٌ من الزمَـرْ — وقال جِىءْ أهلَك فانظر يا عمر(٥)

---

(١) المجرب الماضى فى الأمور . (٢) الشجرة العظيمة . (٣) اشارة الى قول الرسول اللهم أيد الاسلام بعمر بن الخطاب . (٤) أى صار المسلمون يطوفون بالبيت مجاهرين آمنين وكانوا لا يستطيعون ذلك . (٥) هو نعيم بن عبد الله .

وحـــدّثتِ اللهَ ابنةُ الخطابِ   وآمن السعيدُ فى الأخطـاب[١]

لجاءهـــا معتزمَ الشِّراس   وكان صلباً خشنَ المِراس[٢]

فراعه من الخِبـــاء هينمه[٣]   وصوتُ مستخفيةٍ مُرنّمـــه

فقـــال ما أسمع ؟ قالت : طَه   فلم يصوّبْها ولا خطّأهـا

قال ، وعِرفانُ الصواب مَكرُمهَ ،   فاطمُ هـذا منطِقٌ ما أكرمَهْ !

وآنستْ سكينةَ الحـــوارى   من رجـل فى صحوه سوّار[٤]

كَحَمَلٍ مُدلّلٍ صار الأســـدْ   والصارمُ المسلولُ عاد كالمَسَدْ[٥]

كأنما ســـقتْه أمّ ليلى[٦]   أو أسمعتْ قيساً[٧] حديثَ ليلى

لجاء نادىَ النبي فاهتـــدى   وكبّر الهادى وهـلّ المنتدَى

أنظرْ إلى الحـكمةِ كيف تُنشَدُ   والنفسِ بعد الغيّ كيف تَرشُد

لا تقضِ بالعُبوسِ والطلاقهْ   منَ امرئ حتى ترى أخلاقهْ

كم ليّنٍ كالصّلّ[٨] يُخفى مَصرَعا   وأخشنٍ كالصخر يُؤوى مَشرَعا

ما اتّبع الحـــقَّ إذا تغلبا   كرجل فى باطـلٍ تصلّبا

والرأىُ مثلُ العهد فى الجليلِ   يرعاهَ مَن يرعاه فى القليـــلِ

* * *

إن الذى رشّـــح للمُلْكِ عُمرْ   أيّده بالعـــلم فى خيرِ العُمُر

كفى بصحبة النـــبي مَعْلَما   وبالنبي مرشـــدا معلّما

---

(١) ابن عم عمر وختنه والأخطاب جمع خطب وهو الذى يخطب المرأة والمراد السعيد بكونه خطب فاطمة أخت عمر . (٢) المراس الأخـــذ والمعالجة . (٣) الصوت الخفى . (٤) ذو الحدة والشدة . (٥) حبل من ليف . (٦) كنية الخمر . (٧) مجنون بنى عامر . (٨) الثعبان الخبيث .

من صَحِبَ النَّجمَ تعالى وانفردْ — ومن دنا من ساحة البحر وردْ
عـــلمٌ عليه من بيانٍ وخُلُقْ — ثلاثةٌ مَنْ زِنَّ للمُلكِ خلقْ
عابوه بالشـــدة وهى حُسْنُ — فى رجلٍ للحقِّ منـه حصنُ
ميسَّر فى صُـــلبِ والديهِ — لتُفتَحَ الدنيـــــا على يديهِ
بالعـدلِ والدِّرةِ طار بالعرب — وسار فى الجوّ بهم وفى السَّرَب(١)

***

فلم يزل دِعامةَ الإســـلامِ — وهامةَ الصحابة الأعـــلامِ
سمْحاً جواداً فى ســـبيل اللهِ — نَدْبا(٢) عن الحقوق غير لاهِ
مجاهـــــداً ببيضهِ وسُمرهِ — وشهْبهِ ودُهْمِهِ وحُمـــره(٣)
وعنـبرَ العُبّادِ فى الجوامعِ — وسَمَرَ الزهّـاد فى الصوامعِ
وقاضيـا كالذَكَرِ اليمـانى — لم يأته فى سَـــنةٍ خَصْمان
حتى تلقى الحظَّ أسنى أكبرا — أمَّ الصفوفَ وترقّى المِنــبرا
حِباه(٤) من قاس الصنيع وَقدَرْ — إن الجـــزاء بأوانٍ وقدَرْ
فليس يدرى المسلمون سيّدا — أبركَ وجهاً منه أو أندى يدا
من يلقَه فى طِمْره(٥) يلاق — ركنَ الحقوق حائطَ الأخلاق
وُلاتُه فى ملكهم رُهبـــانُ — والفُلْكُ حيث ساقها الربّانُ
خليفـــة يَعُسُّ فى الإعتام(٦) — ويطبُخُ الطعـــامَ للأيتام
طريقُه فى العدلِ قطُّ ما سُلِكْ — من ذا قضى لسُوقةٍ على ملك(٧)

---

(١) الطريق فى الأرض . (٢) الشهم المتنـــدب لعظائم الأمور . (٣) أى بجميع خيله ودوابه . (٤) العطاء . (٥) الثوب البالى . (٦) الظلام . (٧) اشارة الى حديث جبلة ابن الأيهم الذى لطم سوقة فاقتص له عمر منه .

فتوحُهُ لِلْحَق فَضْلُ الْبارى ... والجزْلُ منْ هِباته الكبارِ
اسْكَنْدَرُ الخيلِ وَإنْ لم يرْكب ... الأَرْضُ مِنْ أيّامِهِ فى مَوْكِب
أَقامَ فى مَرْكَزِه بيثْرِبَا ... وَشرّق القنــا به وغرّبا
ثَوَى وساق نُجَبَ الصحابِ ... بُورِكَ فى البحرِ وفى السّحابِ
بَقِيّةٌ مِنْ أُحُــدٍ وَبَدْرِ ... مِنْ كل غابٍ طَلَعت وخِدر
مَحا مرُورُ الدّهر مسوَدّ اللِّمم ... وهم كأمس حُمُسٌ[1] مُرْدُ الهِمَمْ
(بالْقُدْسِ) جيشٌ دونهُ رُهْبانُهُ ... تحرّمت بِعَدْلهم صُلْبــانه
وَجحفـلٌ تحتهمُ الإِيوانُ ... كلهمُو كِسْرَى أنُو شرْوَانُ
وَفيلَقٌ على جَوَانبِ الْهــرَمْ ... تقلدُوا الحقّ وسُرْبِلُوا الْكَرَمْ
لَوْ هَبّ فرعونُ لخالَ مُوسى ... بجانبَيْهِ يَعْرضُ النّامُوسا
تَعَهّدُوا الْفتْحَ بالاخْتِطاطِ ... وَوَصَلوا الْكوفةَ بالْفُسطاط
وَراءهم مُسَهّدُ الْفؤادِ ... موكّلُ العيُونِ بالْقُوّادِ
يَبْعثُ بالزّادِ وَيُرْسِلُ المدَدْ ... وَيُنفِذُ الكتبَ ويأخذ العُدَدَ
مُبــارَكٌ على المدَى مَجْدُودُ ... وللجـدود كُلّها حُــدودُ
اذا دَعَا بوَجْهِهِ مُشــيرا ... نَحْوَ السّماء اسْتَقبَلَ البَشيرا
حتّى جَلا كِسْرَى عن المَدَائِنِ ... وآبَ بالايوانِ والخــزائِن
وشاطرتْهُ مُلْكها الْقيـاصِره ... والقُدْسُ فيما بذلتْ وناصِرَه
فتحٌ يُرِى الحوادِثَ الإِباءَ ... إذا الْفتُوحُ أصبحتْ هَباءَ

---

(١) شبان اشداء لم تشب لهم همة .

أهْدى على الدهْرِ الى الاسلام ما بين أعْلى النيل والسلام

أرضٌ أصابَتْ من نَدَى السَّماء خيرَ النَّباتِ وعُيُونَ الماء

وعالمٌ باقٍ على عَهْد الْعرَبْ وإنْ مَضى الدهْرُ عَلَيْهِمْ وضربْ

ما ضَيّع الدِّين ولا اللسانَا ولا يَدَ الْفارُوقِ والاحْسانَا

عمر وخالد بن الوليد

واللهِ ما أدري ولا تدري الزُّمَرْ ما كان بين ابنِ الوليدِ وعُمَرْ[1]
سيفُ الإلٰه سَلَّهُ النبيُّ وَهَزَّهُ وَلِيُّهُ الحَبِيُّ

(١) ابن الوليد — هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أسلم سنة سبع للهجرة . وهو أحد الذين انتهى اليهم الشرف فى الجاهلية من قريش . كانت اليه القبة والأعنة . فأما القبة فانهم كانوا يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش . وأما الأعنة فانه كانوا على خيل قريش فى الحرب . كان أحد الأبطال الذين حاربوا أهل الردة . اشترك فى فتح العراق وفي فتوح الشام . كان قائداً عاما للجيوش الاسلامية فى الشام — فى أواخر خلافة أبى بكر الصديق — فبينا كان المسلمون في ذلك اليوم المشهود — يوم اليرموك — فى أشد حالات الحرب . واشتداد الطعن والضرب جاء البريد من المدينة ينعى أبا بكر ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد وتعيين أبى عبيدة بن الجراح أميراً عاما للجيش مكانه . وفي رواية أخرى أن البريد جاءهم وهم على حصار دمشق . وروى الطبرى أن أبا عبيدة كتم عن خالد خبر عزله ريثما فتح دمشق وكتب لأهلها عهداً فأمضاه له . وحضر خالد بن الوليد بعد أمارته هذه معظم فتوح الشام متطوعا . وكان المسلمون يستمدون رأيه فى الحروب ويقدمونه على أمرائهم ساعة الحاجة . وكان أبو عبيدة يوليه الجيوش للفتح . فلما فتح في امارة أبى عبيدة قنسرين التابعة لولاية حلب وانتهى الخبر بذلك الى عمر قال . أمر خالد نفسه . يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منى .

أما سبب عزله فأمران : الأمر الأول ما كان فى نفس عمر بن الخطاب عليه منذ قتل مالك بن نويرة فى حرب الردة . كان مالك بن نويرة رجلا متحيراً يقدم الردة قدما ويؤخر أخرى . قدم بالصدقات على أبى بكر رؤساء تميم كلهم كالزبرقان وصفوان بن صفوان ، ووكيع بن مالك وغيرهم الا مالك بن نويرة بقى متردداً فقصد خالد بن الوليد البطاح وبث السرايا وأمرهم بداعية الاسلام . وأن يأتوه بكل من لم يجب . وكان قد أوصاهم أبو بكر (أن يؤذنوا اذا نزلوا منزلا فان أذن القوم فكفوا عنهم . وان لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا . وان أجابوكم الى داعية الاسلام فسائلوهم عن الزكاة . فان أقروا فاقبلوا منهم وان أبوا فقاتلوهم) فكان بين الذين جاءت بهم الخيل مالك بن نويرة في نفر من ثعلبة بن يربوع ، فأمر بهم خالد فحبسوا فى ليلة باردة . ثم أمر منادياً فنادى دافئوا أسراكم . وهى فى لغة كنانة القتل. فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد الا الدفء فقتلوهم . وقتل معهم مالك بن نويرة . قتله ضرار بن الازور . وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك . فلما انتهى الأمر الى أبى بكر وعمر رغب عمر الى أبي بكر ثم ألح أن يستدعى خالداً ويقتص منه . فقال أبو بكر : ياعمر تأول خالد فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد فانى

أغمِد لا كلاً [١] ولا مُقصِّرا ... في حَرْب كِسْرَى وقِتالِ قَيْصَرا

تَوَجَّعَتْ لِعَزْلِهِ العُقـــاب [٢] ... وحـــلَّ بالمبرَّأ العِقـــاب

ضغينـــةٌ [٣] لم تدع الإماما ... حَتَّى رَمَى في يَدِها الزِّماما

وزلَّة الكبير أكبر الزَّلـل ... وَإِن أُحيطت بالطِلاء والعِلل

خاف الإمامُ أن يكون فِتنهْ ... ســـياسةٌ عاليةٌ وفِطْنـــه

كم هاضتْ الممالكُ العظـــاما ... مَخَافَةَ أَن يَقْطَعُوا النظـــاما

وكم مرجَّى السبْق ماتَ بالكمد ... قَدْ وَقَفَ النَّاسُ لَهُ دُونَ الأَمَدْ

أُعيـذُ مِنْ مَضلَّةِ الحقد عُمر ... مثـــلُ الإمامِ بالمراشد ائتمرْ

لَعَلَّهُ أَبْصَرَ وَجْهَ مَنْفَعـــهْ ... أَوْ خاف ضُرًّا فرأى أَنْ يَدفعه

فالسيْفُ لا تأْمنُه أَنْ يَنْقلبْ ... كم غَلَبَ الحقُّ بِهِ وكم غُلِب

في طبْعِهِ الطـــيْرةُ والشرُورُ ... وَرَبُّه يوما به مغـــرُورُ

وكَيْفَ غَدَرَ ابنُ الوليدِ كَيْفَا ... اللهُ أوْفى وَأبرُّ ســـيفَا

* * *

لا أشيم سيفاً سله الله على الكافرين . فلما رجع خالد ودخل على أبي بكر وأخبره بجلية الخبر واعتذر اليه قبل عذره . ولكن عمر أهانه وأسمعه كلاما أليما .

الأمر الثاني — وهو الأهم — اقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد ، وحبهم له . واستماتتهم بين يديه في كل مشاهده فى العراق والشام لشجاعته ، وحزمه ، وتوفيقه في الحروب، وانتصاره على الأعداء . عرف هذا عمر بن الخطاب فوقع في نفسه شيء منه ، وخشى من اقبال الناس عليه . عرف أن فى نفس خالد من جهته ما في نفسه من جهة خالد منذ قرعه ذلك التقريع الشديد عقب حادث مالك بن نويرة . فبادر الى عزله قبل أن يصل خبر توليه منصب الخلافة الى المسلمين ، وخالد أمير على جيش عظيم منهم وقد جهر عمر بهذه الحقيقة . فقد روى أنه استدعاه بعد عزله الى المدينة فعاتبه خالد ، فقال له عمر : ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن بك الناس ، فخفت أن تفتتن بالناس .

(١) الكل من السيوف الذى لا يقطع . (٢) العقاب قيل الراية . وقيل العلم الضخم . وقيل الحرب . وكل يصلح أن يكون مراداً فى هذا المقام . (٣) الضغينة الحفيظة أو الحقد .

عَجِبْتُ مِمَّنْ ملكَ الزمانا ودانَ بعـد فارس الرُّومانا

ومن قنَاه كل يوم فى ظفَرْ وخيلُهُ من سـفَرَ الى سفر

تشكلُ الطـيرُ على بنُوده ويَنْزلُ النَّصْرُ على جُنوده

تهَيّب الْبَحْرَ وخافَ حَرْبَه وحَرَّمَ الُمجـاهدِين قُربه

ظـل الولاةُ يَسْطُون الرَّاحا فلا يُلَبِّى لهمُو اقْـتراحا

كم حسَّنُوا النَّفعَ وقبّحَ الضَّرر خوفا على جُنُودِه من الغَرَرَ (١)

وقال لم يَأْذَنْ ولم يُسـلِّمْ لا أشـترى الرُّومَ بنفسِ مُسلِمِ

كان الامام وهو للعـدل علَمْ لم يُنصفِ الرُّومَ وللبحر ظـلم

كم جرّ نفع المسلِمين الرُّومُ والبحـرُ عز أبدا مرُوم

يَنْهَضُ بالملك العظيم فاتِحهُ لأَنَّهُ مِنَ الثرى مفـاتِحهُ

فَيْروزُ منْهُ يَبْرَأ النَّصـارَى ومِثْلُهُ الى الجَحِيمِ صَـارَا

لا دِينَ لِلْباغِى وإنْ تَدَيَّنا كَفَى بِقَتْلِ النَّفْسِ ظُلْما بَيّنَا

---

(١) الغرر الخطر .

مقتل عمر

شَكا إلى الخليفَةِ ابنُ شُعبَه[1] — لِكُلَفٍ يَزْعُمُهنّ صَعْبَه
فلَمْ يَجِدْهُ عُمَرُ مَظلُومَا — ولا رَأى سيِّدَهُ مَلُومَا
وكانَ بالصَّنْعَةِ ذا إلْمامِ — وَحَسْبُهُ شهادَةُ الإمامِ
إن يُذكر الرومُ اليهم ينسب — وَهو مِنَ الفرسِ وفى الرومُ سُبي
إنَّ انكِسارَ الفُرْسِ شرَّ كسرهْ — صَيَّرَ وجْدانَ الغُلَامِ حَسْرَهْ
فَباتَ لِلفاروق يُضمرُ الإحن — بما أصابَ قَوْمَهُ مِنَ المِحَن
والثأرُ بالأهْلِ الكِرامِ وَالْوَطَنْ — قَضيةٌ قَدْ شَغَلَتْ أَهْلَ الْفِطَنْ
لَوْ لَمْ تَلِدْهُ الأَرْضُ شَرَّ صِلِّ — ما اقْتَحَمَ الْمُكَبِّرَ الْمُصَلِّى
انْساب مَلأى مِنْ نقيعٍ سُمِّهِ — حديدةٌ قَدْ لفَّها بِكُمِّهِ
أَغْمَدَها فى هَيْكَل الجَلالِ — وشَامَها فى كَرَمِ الخِلالِ
فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ يا عُمَرْ — غامِرَةً كَعَدْلِكَ الذى غَمَرْ

---

(١) ابن شعبة هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل أمير المومنين عمر بن الخطاب . هو فارسى الأصل من نهاوند . كان قد أسره الروم . ثم أسره منهم المسلمون . ولما قدم سبي نهاوند صار أبو لؤلؤة لا يلق منهم صغيراً الا مسح رأسه وبكى وقال : أكل عمر كبدى ! !

وقد ذكر المؤرخون عن مقتل عمر أن أبا لؤلؤة هذا شكا اليه ارتفاع الخراج الذى ضربه عليه مولاه المغيرة وطلب اليه تخفيضه . فن قائل إنه وعده خيراً ، وعزم أن يخاطب المغيرة فى تخفيف الخراج عنه ومن قائل إنه سئل كم خراجك ؟ ؟ . فقال: درهمان في كل يوم . قال : وما صناعتك ؟ ؟ . قال نحاس نقاش . حداد . قال فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال . فتوعده الغلام وانصرف فقال عمر : توعدني العبد .

خلافة عثمان بن عفان

من لقتيلٍ بالسّفا (١) مُكفّنِ ... مرّتْ به ثلاثةٌ لم يُدفَنِ
تَعرِضُــــه نوادبًا أراملُهْ ... ويشفقُ النعشُ ويأبى حاملُهْ
قــد حيل بين الأرض وابن آدما ... ونوزعتْ دارُ البقـاء قادما
مُثّلَ بالمهــــاجرِ (٢) المُثنّي ... على عُـــلوٍّ شأنه والسنِّ
تنبو العيونُ اليومَ عنه جيفهْ ... وأمسِ كان نورها خليفهْ
قد عُرِيَ المِنبرُ من أسمائهِ ... ورفلَ المُصحفُ فى دمائهِ
تلازما تـــلازم اللِّداتِ (٣) ... خِلّيْنِ فى الحيـــاة والمماتِ
كنزٌ عليه نُقِبَ الجـــدارُ ... ورُقيتْ بالســـارقين الدارُ
ومَلِكٌ بمَدْرج الأوغادِ ... مــن رائحٍ يلطُمُه وغادِ
من كلِّ رُستاقٍ (٤) وكلِّ حاضِرهْ ... عقاربٌ والنعلُ غـيرُ حاضرهْ
أتوْا مــن السواد والصعيد ... شقاوة للبــــلد السعيدِ

ولما أضمر أبو لؤلؤة قتل عمر اصطنع له خنجراً له رأسان وشحذه وسمه ثم أتى به الى الهرمزان . فقال كيف ترى هذا ؟؟ قال انك لا تضرب به أحداً الا قتله . فراح أبو لؤلؤة يراقب عمر ويترصده . وبينا هو فى صلاة الغداة قام وراءه . فلما كبر طعنه في كتفه . ثم فى خاصرته . وقيل ضربه ست ضربات فسقط عمر ، وقام المصلون يحاولون القبض على أبى لؤلؤة فأخذ يطعنهم عـــدة طعنات أصابت مقاتل الكثير منهم .

(١) الغبار . (٢) عثمان رضى الله عنه . (٣) الأتراب . (٤) الرستاق القرية والحاضرة المدينة .

لإحنةٍ أو غيّةٍ أو سَلّهْ (١) وقلّ من جاء لخير المِلّهْ
وخِيضَ فى القضيةِ السخيفهْ (٢) ومُلِئتْ دارُ الرسول خيفهْ
وبخِلتْ بالنُّصرةِ الأنصارُ وأخّرتْ نَجدتَها الأمصارُ
وقرّتِ الفتيانُ فى الحِجالِ وفرّتِ الشيخانُ بالآجالِ
وتعبِ الوصىُّ (٣) بالسفارهْ وانتُدبَ السِّبطان للخِفارهْ (٤)
وابنُ أبى بكرٍ (٥) مع الثوّارِ بغىَ الحوارىّ على الحوارِى
يا ليت شعرى كيف ولاّه على ليت الإمامَ المرتضَى لم يفعلِ
كيف يُولّى مصرَ مخضوبُ اليدِ من راشـــدٍ مُوفّقٍ مؤيّد ؟
الرأسُ فى الشغبِ (٦) سواءٌ والذَّنَبْ لا تبرأ العقربُ من ذنْبِ الذَّنَبْ

***

إن محمدا على الشيخ افــترى وجرّأ الناسَ عليـه واجترَى (٧)
آذاه فى حُجرتهِ مخـــذولا ممتنعاً قيـــادُه مبــــذولا
عاينَ فيهــــا الموت أربعينا ينتظرُ النـــاعِى أو المُعينا (٨)
وشرُّ ما هبّ عليــــه الغافلُ إن حكمتْ فى العِليةِ الأسافلُ
إبنَ ثمـانينَ فتىُّ النيّهْ مُوطّنُ النفس على المنيــــهْ
لم يُعطِهم، حيث النفوسُ تجزعُ، خــــلافةَ الله التى لا تُنزَعُ
أليستِ النفسُ تموتُ مَرّهْ فخذْ عليها أن تموتَ حُرّهْ

---

(١) السرقة . (٢) يفهم القارىء ان شاء سخف القضية العثمانية من الأبيات الآتية .
(٣) على رضى الله عنه وكان السفير بين عثمان والثائرين . (٤) هما الحسن والحسين وكانا فى خفارة عثمان . (٥) كان محمد أبى بكر يدبر ويكيد مع الثوار . (٦) الفتنة . (٧) هو كما تقدم محمد أبى بكر وكان شديداً على عثمان محرضاً عليه . (٨) من ينقذه .

***

فان تسـل ماذا أتى عثمان ؟ مما يردُّ الدينُ والايمان

تجـد دعاوى القوم لفقوها وسِـلما بالدين نفقوها

زَروا على الإمام ما لا يُزرى وأركبوه الحسناتِ وزرا

واستنكروا عُلوّه بالدور عن دارةِ الثلاثةِ البدور (1)

وقال قـومٌ خالف الأترابا وحالف الـثراء والإترابا (2)

وكرهوا التمصيرَ والتمدينا وزعموا الدنيـا تُعفّى الدّينا

ويحهمو ! ما لهمو وماله ؟ طاب وطيّبَ الحـلالُ ماله

مالٌ كما شاء العفافُ والكرمْ زكا كهَدْيِ البيت أو حَلْيِ الحرمْ

والزهـدُ حالٌ للقلوب والنُّهى ما أمـرَ اللهُ به ولا نهى

وهذه الدنيـا يدُ العظيمِ وسِره فى مُلكِه النظيمِ

أسكنها العقلَ فكانتْ أشرفا من كلِّ زاهٍ فى السماء أشرقا

أحـلّ منها ما صفا مشارعا وحـرّمَ الآفاتِ والمَصارِعا

وساقها للأنبيـاء ترسُفُ هذا سليمانُ وهذا يوسفُ

وأين من شـأنيهما عُثمانُ ؟ على الذى خوّله الرحمنُ

استقبحوا إحسـانَه العميما أن يَشـمَلَ القريبَ والحميما

وأن يُنـاطَ القُطْرُ والولايهْ بمن له الصِّهـرُ أو الوِلايهْ

وردّدتْ قولَهمـو الغوغاءُ كما تُعيـدُ القولَ بَبغاءُ

واتُّخِـذَ المشاغبون آلَهْ وقيـل عثمانُ يخُصُّ آلَهْ

---

(1) هم متقدموه من الخلفاء . (2) الأيسار .

رماهمو بعضُ الشيوخ من حسدْ ووقعوا فى الرأس طعنا والجسدْ

***

يا حبــذا وُلاتُه الأخيـارُ ورأيُه فيهــم والاختيارُ
من حَسَنِ السيرة بالأمس أمرْ تحت النبيِّ والعتيقِ وعُمَرْ (١)
كهلٍ على الأمر قويٍّ الكاهلِ بين الحواريِّ وبين العاهل
أوْ ذى شبابٍ تُرتَضَى حكومتُهْ لا فضلُه خافٍ ولا أُرومتُهْ (٢)
مُقــدمٌ للفضلِ والأرابهْ وليس للصهرِ ولا القــرابهْ
يَضـافُ مرفوعاً الى الإمامِ إضافةَ البــدرِ الى التّمـامِ
فِتيانُ مُلْكٍ وبنو خــلافهْ قـد صَدقوا الأبوّةَ الخلافهْ
قــد فتحوا قُبْرُسَ للإمامِ بالسُّــفُنِ المُزْجاةِ كالغمامِ
فأصبح القاصى من البرّ اقتربْ وصار بحـرُ الروم لُجَّةَ العربْ
وخفقتْ كتائبُ الإسـلامِ فى البحر أعـلاماً على أعـلامِ
فخرٌ لذى النورَيْن أىُّ فخـرِ وهمـةٌ تذكَرُ لابن صخْرِ (٣)
يا طالما بالغَ فى الخطـابِ فلم ينلْها من فتى الخطّابِ
سبحان من فرّقَ فى الأئمـهْ ما جــلّ من مَنقَبَةٍ وهِمّهْ
له الكمالُ وحــدَه والمُلْكُ وهْو الدوامُ وســواهُ هلْكُ

---

(١) أى جلهم كانوا عمالا لرسول الله وللعمرين . (٢) أصله ومحتده . (٣) هو معاوية رضى الله عنه أول من أركب العرب البحر .

الخصمان

يا فطنا بسِيَرِ الكبارِ ... مُفتتنا بغُرر الأخبار

وطالبَ الجوهر فى التراجِم ... ملتمسَ التبر من المناجم

جئتك بالبرجاس والمرِّيخ[1] ... خصمين بين يدى التاريخ

قَرَنْتُ خيرَها تُقًى وعلما[2] ... بخيرها سياسةً وحلما[3]

بل قرنَتْ بينهما أيدى الغِيَرْ[4] ... وافترقا على التلاقى فى السِّيَرْ

أبو الشهابين وهل يخفى القمر[5] ... والثاقبُ الرأى اللعوبُ بالزمر[6]

أو قيِّمُ الدين ولا أحابى ... وقيِّم الدنيا من الصحاب

إن ذكر الآباء جاآ بالقمر[7] ... جَدًّا نماه العتيق وعمر[8]

تحدرا مُزنيْنِ من غمامِ ... ولاقيا الديمةَ فى الأعمامِ

قُربَى على تفاوت المنسوب ... كالموُم والشهد من اليعسوب[9]

---

(١) البرجاس المشترى يعنى بالبرجاس والمريخ عليا ومعاوية . (٢) عليا . (٣) معاوية .

(٤) يريد بالغير ما شجر بين على ومعاوية . (٥) على والشهابان الحسن والحسين .

(٦) معاوية . (٧) عبد مناف وهو جدهما الذى يلتقيان فيه . (٨) العتيق أبو بكر .

(٩) الموم الشمع ، اليعسوب امير النحل .

أمير المؤمنين على بن أبى طالب

أما الأمام فالأغر الهـادى حامى عرينِ الحق والجهـادِ
العُمرانِ يأخـذان عنه [1] والقمران نسختان منـه [2]
أصـلُ النبي المجتبَى وفرعُهُ ودينُه من بعـده وشَرعُهُ
وصفحتاهُ مقبِـلاً ومدبرًا وفى الوغا وحين يرقى المنبرا
يدنو الى ينبوعِه بيـانا ويلتـقى بحراهما أحيـانا
الحجـر الأول فى البناء وأقرب الصحبِ بلا استثناء
وأزهـدُ الناس وفى الدنيا يدُه وأخشع العالم وهو سـيده
وجامعُ الآيات وهى شـتى وسُـدةُ القضاء بابُ الإفتا
والسُهُدُ الآوى الى أشواقِـه إذا الظـلامُ مدّ من رواقه
بحرُ الهوى والقوم رُكْبُ السفْنِ كم من شِراعٍ دون عِـبريه فنى
يا ليت شـعرى والأمور تَخَفَى والفـكرُ فى هذا الطريق يحفَي
ما ساء هـذا الناس من عَلىٍّ وحاد بالنـاصرِ والولىِّ
وغرّ بالليث الذئابَ العـاويهْ ومهّلَ الغـابَ على مُعـاويه
قيل دم الشيخِ الضعيفِ المُسلمَ [3] يطلبـه اللهُ وكلُّ مسـلمِ

---

(١) العمران أبو بكر وعمر . (٢) القمران الحسن والحسين . (٣) عثمان .

تركُ الإمامِ قاتلَ الإمامِ ... أخلّ بالهيبة للزمامِ
وقيل بل أدلّ بالمكانه ... ولو تصورَ الخشوعُ كانه
والزهوُ أحيانا من المعانى ... إن مال من معاطف الشُّجْعان
وقيل فى سياسة الطباعِ ... وفى المداراة ، قصيرُ الباع
لو صانع الإمامُ أو تأنّى ... ما بلغ الشامىُّ ما تمنى (١)
وقيل عِلمٌ ما له انتهاء ... لم يَجرِ فيه الرأىُ والدهاء
فى ثقةٍ بمن به لا يوثَقُ ... ولا يدومُ عهدُه والموْثِقُ
ونبذُ رأى الناصح المماحض (٢) ... فى قُحَمِ الأمرِ وفى المداحضِ (٣)
وقيل أخفى للثلاثة الحسدْ (٤) ... وكادتِ الجيفةُ تأكلُ الأسد
لا بل هو المنازعُ التوّاقُ ... طِلبتُه الأعباء والأطواقُ
سما اليها بعيونِ الفضلِ ... وحنّتِ الحسناء تحت (٥) العَضْلِ
من كان فى منزله الرفيع ... يدرِ مكانَ مِنبَرِ الشفيعِ
وطالما استأخرَ غيرَ فاحمِ ... ولاذَ بالحياء لم يُزاحمِ
يا جبلا تأبى الجبالُ ما حَملْ ... ماذا رَمت عليك ربةُ الجمل (٦)
أثأرُ عثمانَ الذى شجاها ... أم غُصةٌ لم يُنتزَعْ شَجاها
قضيةٌ مِن دمه تبنيها ... هبّتْ لها واستنفرتْ بنيها (٧)
ذلك فتقٌ لم يكن بالبال ... كيدُ النساءِ مُوهِنُ الجبال

---

(١) الشامى معاوية . (٢) أمحضت له النصح اذا أخلصته . (٣) القحم الأمور العظام الشاقة . والمداحض المزالق لا تثبت عليها الأقدام . (٤) الثلاثة الصديق وعمر وعثمان .
(٥) العضل حبس المرأة عن الزواج . (٦) عائشة أم المؤمنين . (٧) قضية من دمه — أى دم عثمان .

وإن أمَّ المؤمنين لامرأه ... وإن تكُ الطاهرة المبرّأه

أخرجها من كِنّها وسِنّها ... ما لم يُزِلْ طولُ المدى من ضِغنها

وشر من عَداكَ من تقيه ... وَمُلقِيَ السلاحِ تلتقيه [١]

جهزها طلحةُ والزُّبيْرُ ... ثلاثةٌ فيهم هدى وخير

صاحبةُ الهادى وصاحباه ... فكيف يعضون لما يأباه؟

ياليت شعرى هل تعدوْا وبغوْا [٢] ... أم دمَ ذى النورين بالحق بَغوْا؟

جاءت الى العراق بالبنينا ... قاضين حق الأم محسنينا

فانصدعتْ طائفتينِ البصرهْ ... فريقُ خذل وفريقُ نُصْره

أو ذادةُ البَيعةِ والذمامِ ... وقادةُ الفتنةِ والزمام [٣]

وانتهكَ الحيُّ دماء الحيّ ... من أجل ميْت غابر وحيّ

وجاء فى الأسد أبو تُرابِ [٤] ... على متون الضُمّر العِراب [٥]

يرجو لصَدعِ المؤمنين رأبا ... وأمُّهمْ تدفَعُه وتأبى

وعجِزَ الرأىُ وأعيا الحِلمُ ... وخُطبتْ بالمرهَفاتِ السِلمُ

من كل يومٍ سافكِ الدماء ... تعوذ منه الأرضُ بالسماء

تجرُّ ذاتُ الطهرِ فيه عسكرا [٦] ... وتَذمُرُ [٧] الخيلَ وتُغرى العسكرا

ظل الخِطامُ من يدٍ الى يد [٨] ... كالتاج للأصيد بعد الأصيد

---

(١) أى شر من ظلمك من تلتقيه وأنت ملق السلاح لا تشهره فى وجهه ومن لاترى يدآ من تجنب ايذائه . (٢) يقول ان عائشة وطلحة والزبير جاروا وظلموا بخروجهم على على . (٣) أى زمام الجمل الذى كانت تركبه عائشة . (٤) فى الأسد — جيش على ، وابوتراب كنيته . (٥) متون ظهور ، والضمر جمع ضامر ، والضمر الهزال وهو ممدوح فى الخيل ، والعراب الخيل الكرائم الخالصة من الهجنة . (٦) اسم الجمل الذى كانت تركبه عائشة . (٧) تذمرالخيل تحثها . (٨) الخطام خطام الجمل .

مستلمًا توهَى الغيوثُ دونَه ... وبالدماء أنهـــراً يفدونه

حتى أرادَ اللهُ إمســـاكَ الدم ... فى كـريمٍ لسيفه المقـدّمِ

وظفـــرتْ ألويةُ الأمام ... وألقتِ البصرةُ بالـــزمام

فرُدّتِ الأمُّ الى مقــرّها ... مبالَغاً فى نقلِهـــا وبرّها

وظللتْ مَن حلّ أرضَ الملحمهْ ... من الفريقين سمـــاءُ المرحمهْ

هلكى بكى البيتُ عليهمْ والحرَمْ ... الموتُ دون العهدِ غايةُ الكرمْ

***

يا يوم صـــفّين بمن قضاكا ... هل أنصف الجمان اذ خاضاكا

فيـــك انتهى بالفتنةِ التراقى ... واصطدم الشآمُ بالعـــراق

ونفدتْ بقيةٌ من صَحبِ ... تلقتِ الطعنَ بصدرٍ رَحبِ

بنو الظُبَى ، أبوّةُ الأسنّهْ ... آلُ الكتاب أولياءُ السُنّهْ

لقـــد وفَى بدرٌ لهم أهلّهْ ... وخنتهمْ مَشيْخَةٌ أجلّه (١)

لو فى بناء المجد ذلك الدمْ ... بل عمدوا لما بنَوْا فهدَموا

فيـــا مجالاً قصرَ الأعنّهْ ... ومدّ فى اشتجارها الأسنّهْ

ترجرجتْ بالفئتين أرضهُ ... وضاق عنهم طولهُ وعَرضُه

ووقع الأنجاد بالأنجـــاد ... وخرّ «عمار» من النجّادِ (٢)

ما كان ضرّ نصراء (٣) البيعه ... لو صبَروا على الوغى سُويعة

بينا بُنودهمْ هى العوالى ... والنصرُ حولَ البيض والعوالى

غادرهمْ بسحره معـــاويهْ ... كأنهم أعجازُ نخلٍ خاويه

---

(١) خانتهم يوم صفين وهم شيوخ أجلة ، ووفى بدر لهم وهم شباب أهلة . (٢) هو عمار بن ياسر وقد خر وهو يقاتل . (٣) نصراء البيعة أصحاب على .

ألقى القنـــا وشرع المصاحفا يَنْشُدُ بالله الخميس الزاحفا [١]
فلا تسلْ عن فشلِ العزائمِ ولم يزلْ طليعةَ الهـــزائمِ
انقطع النظْمُ والانقيـــادُ وحكمتْ فى الشُكُمِ الجياد
وافتيتَ فى الرأى على الأعيانِ وهُدِّدَ الإمامُ بالعصيانِ
ما كان فى قبوله التحكيما على علو رأيه ، حكيما
لا يُرفعُ المُصحفُ كالدفوفِ والسِّلْمُ لا تُذْكَرُ فى الصفوف
ورأيه فى الأشعرىّ أعجبُ لله فيه قـــدَرٌ محجَّبُ [٢]
أين أبو موسى وأين عَمْرو لا يستوى مجرِّب وغَمرُ [٣]
أمَن دها قيصرَ والمقوقسَا كمن على مصحفه تقوّسا ؟
قام فـــردّ الرجلينْ ونزل وقام عمرو فأقرّ وعـــزل
أبى علياً وارتضى معـــاويه ونَقضَ المِنبرُ عَقد الزاويه
يا زيدَ [٤] كلّ مُسرَجٍ ومُلجَمِ كيف علا غُرتَك ابنُ ملجم [٥]

(١) الجيش الماجم . (٢) هو أبو موسى الأشعرى . (٣) الغمر غير المجرب .

(٤) اى يازيد الخيل . (٥) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادى كان من أهل مصر وهو الذى قتل علياً بن أبى طالب . فقد اجتمع ملجم هذا ، والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمى فى مكة مع آخرين من الخوارج سنة أربعين وتحادثوا فى أمر الناس وفيما هم فيه من الحروب والفتن والشحناء . فتعاهد الثلاثة على أن يكفوا الناس علياً ، ومعاوية ، وعمراً ابن العاص . فقال ابن ملجم أنا أكفيكم علياً . ثم أقسموا بالله ألا يرجع أحدمنهم عن صاحبه الذى توجه اليه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم فغمسوها فى السم وذهب كل الى غرضه . مضى ابن ملجم حتى أتي الكوفة فالتقى فيها بجماعة من تيم الرباب — قتل منهم على يوم النهر عشرة — وفيهم امرأة يقال لها قطام — قتل على أباها وأخاها يوم النهر أيضاً — بارعة فى الجمال ، فلما رآها أذهلته فخطبها . فقالت له لا أتزوجك حتى تشفينى . فقال وما يشفيك ؟ قالت ثلاثة آلاف ، وعبد ، وقينة ، وقتل على . قال هو لك مهر ، أما على فلم أرك ذكرته لى وأنت تريدينى . قالت بل التمس غرته فان أصبت شفيت نفسك ونفسى ويهنئك العيش معى ، وان قتلت فما عند الله خير وأبقى . فقال لها : والله ما جئت هذا المصر الا لذلك ، ثم اختارت له مساعداً من قومها واختار هو مساعداً آخر . فلما كانت ليلة الجمعة ١٥ من رمضان ترصدوا له حتى خرج يريد صلاة الصبح فضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف وهو ينادى « الحكم لله لا لك ياعلى ولا لأصحابك » .

أصـــاب قرناً لا تُرامُ شمسُهُ أعيا على الأقرانِ دهراً لمسُهُ
بالمرهفِ المسموم فيما قد ذُكِرْ وكلّ شيء قتلَ ، الماضى الذكرْ
يا شؤمَ سيفٍ قطع الصـــلاةَ واغترَ ليثَ الغـابة المِصْلاتا (١)
ولم يك ابنُ ملجمٍ صُـــعلوكا بل غاليـــاً يقتحمُ المـــلوكا
وضاريًا فى دمـــه العُدوانُ لم يَخلُ من أمثـــاله أوانُ
وقال قـــومٌ ذاك مُسلِمٌ نقِمْ حكومةَ القرآنِ فهو منتقِمْ
قولٌ غدا عند النُّهَى مرفوضاً لو صح راح العـالمون فُوضَى
الرأىُ للأمـــةِ فى الوُلاةِ وليس للغِضابِ والغُـــلاةِ
وقتلكَ الانسانَ غِيلةً شَنِعْ الجبنُ أن تَقْتلَ من لا يمتنعْ
النفسُ لله وللنظـــامِ والدمُ إحْدَى الحُرَمِ (٢) العِظام
فـكيف بالـبغى على عَلىّ الراشـــدِ المقرَّبِ الولىّ ؟

***

مالكَ والنـــاسَ أبا ترابِ ! ليس الذئابُ لك بالأترابِ
هم طرّدوا الكليمَ (٣) كل مَطرَدِ وأتعبوا عصـــاه بالتمرّدِ
وزُيِّنَ العجلُ لهم لمـــا ذهبْ وافتتَنوا بالسامِرىّ والذهبْ
وبابن مريمٍ (٤) وشوْا ونمُّوا واحتشـــدوا لصَلبهِ وهمّوا
وأخرجوا محمـــداً من أرضـه وسرَحتْ ألسنُهم فى عِرضـه
وغيّبوا المسوّىَ الفاروقا (٥) وخـــيرَ شمسيْهم لهم شروقا

---

(١) الماضى فى الأمور . واغتره : أتاه على غرة (٢) أى النفس لله وللشرائع يحكمان فيها
(٣) موسى عليه السلام (٤) هو السيد المسيح . (٥) هو عمر بن الخطاب .

وذبحوا الشيخَ[1] على الفُرقانِ حتى بَكى الذِّكْرُ[2] بدمعٍ قانِ

وهبَّ منهم من لحقِّكَ اختلسْ وَجَعُوكَ بالصلاة فى الغلسْ

وأشرقوا الحسينَ بالدماء[3] ملوِّحًا بين عيون الماء

فاسمُ سموَّ الزاهدِ الحوارى فى درجاتِ القرْبِ والجوارِ

إن زالَ مُلكُ الأرضِ عنكَ من مَلِكْ يا طولَ ملكٍ فى السماء تم لك !

---

(١) عثمان بن عفان . (٢) القرآن . (٣) هو الحسين بن على وقد قتل ظمآنا فى كربلاء .

معـــاوية

في الدهر لم تصنع قيون الهندِ ولم يَسُلَّ الشرق كابن هنـــدِ
العبقريّ الملك الخليفـــه السعد كان أبداً حليفـــه
ما زال بالحبـــال والعِصيِّ من سحره ففـاز بالوصيِّ
أرسل في حب الأمور الرسَنَا وفي هوى الدولة جافي الوَسَنا
حتى نعى علياً النُّعـــاةُ فانقلبت مـلوكاً الرعاةُ
وراقت الدنيـا ورق الدينُ وانفجر التمصـير والتمـدينُ
وصيّر البيتَ سليبَ الحـــقِّ والآلَ من ســيادةٍ لرقِّ
قـد نَصبَ الحِلْمُ لهم حبائلاَ ورُبَّ حِـــلمٍ جمع الغوائلا
وراضَ من شكائِمِ الأُباةِ بهيبـةِ المُلْكِ وبالهِبـــاتِ
فذالت الأخـلاقُ والنيّـاتُ وبذلتْ واديَهـــا الحيّاتُ
وثَمَّ ما يسألُ عنـــه اللهُ وصاحبُ الدين ومَن تـــلاه
قطعُ نظام العهد في الإسلامِ وأخـــذُه البيعةَ للغـلامِ
حتى علا التـــاجُ على العِمامهْ وعاد مُلْـكاً نَسَقُ الإمامهْ
جنـايةٌ أدركت الأجنّهْ ووقفتْ للـــدين في الأعنّهْ
تحت هوى الآباء للأبنـــاءِ حبُّ البقاء وقِلَى الفنـــاء
تشبّثُ الوالدِ بالمـــولودِ يُحسَبُ من توهُّمِ الخلودِ

إرفع قواعـــدَ الفَخَار وابنِ   لاتدّعِمْ عـــلى أبٍ ولا ابنِ
لا يرفع الجِذعُ عن الارض الثمرْ   ولا يحطُّ نسبُ الليـل القمرْ

***

لا تعجبنّ من عظيمٍ ما فَتَقْ   واعجبْ له كيف تلافى ورتَقْ
ما كلُّ ذى حربٍ وذى لدادِ   بجابرِ الوَهْيِ ولا ســـدّادِ
جـوّ الولايات خـلا لنَسرهِ   واجتمـع الأَمر له بأسرهِ
فلا تسلْ عن انبساط المُلْكِ   ورفقِ رُبّانيّه بالفلْكِ
الشرقُ تحته نخيرِ عهـــدِهِ   والغرب يقضى ليـلَه بسهدِهِ
مبـــاركٌ لقومه فى عُمرهِ   ميمونة لهم معـــالى أمرهِ
رَبٌّ اعفُ عن جرأته عليكَ   فالعفو منـك والرضى اليـكَ
لم يعلُ فى العفو عليـه كُفُوْ   فأرِه كيف يكون العفْو

عمرو بن العاص

ما بالُ قصرِ الشمعِ لا يُضاءُ ؟   هبَّ على مصباحــــه القضاءُ
لا فِتيــــةُ الرومانِ فى بُروجِهِ   ولا غوانيهمْ على مروجــــهِ
ولا الليـالى حوله أعـــراسُ   وفوقه وتحتـــــه أحراسُ
وما لبابليون من بَعـد العجمْ   أمستْ رجاماً فى نواحيه الأجمْ ؟
لم تُغنِ عنـه رفعـــةُ الأسوارِ   ولا جثومُ الأَسـد الأُسوارِ (١)
وأينَ فى أفقيْهما (٢) فسطاطُ   للنجم عن سُــــدّتهِ انحطاطُ
قد ألقيـــا إليـه بالمَقـــالدِ   وخرجا من طـــارفٍ وتالدِ
سُرادقٌ ينفـــذُ حُكمُ ربّهِ   من منبع النيـــل الى مَصبّهِ
أوى الى أطنـــابه اليمـــامُ   لأنهـــا الرحمـــةُ والغمامُ
وأمِنَ الأعزلُ فيـــه الشاكى   وحذر المشكوَّ صوت الشاكى
حَفّتْ به القبـــاب والخيامُ   وســـالمتْ ضـــاربَه الأيامُ
لم يبـــق من ذلك إلا مَسجدُ   عالٍ على باعِ الخطـوب مُنجدُ (٣)
كالـكعبة الرفيعـــةِ الدعامِ   ما حُجَّ إلا مرةً فى العـــامِ
إن كان لم يَعلُ عُلوَّ الهيكلِ   وليس باللونِ المُشـــكّلِ
لقد تردّى حُللَ الجـــلالِ   بالبانيَيْنِ الحقِّ والحـــلالِ

---

(١) الوثاب (٢) ضمير راجع لقصر الشمع وحصن بابليون (٣) مرتفع

أمـــيرُ كلِّ هيكلٍ ومعْبدِ ... فاتهما بالســـؤدد المؤبّدِ
نسّى الديانات بمصر قبـــلَهْ ... ولا يزال للقـــلوب قِبْلَهْ

***

إســـلامُه وخالداً في آنِ ... حـــلّ على الشّرك به رُزآنِ
السيف والرأى بيومٍ أجْمَعَا ... واستأذنا على محمـــدٍ معاَ
فانقلبِ الحـــق بهذا فردداً[1] ... وعاد هـــذا بالهدى مُسدّدا
بالفاتحيْن بُشّر الإِســـلامُ ... واستقبلت آمالَهـا الأعـلامْ
كلاهما كان رِضى النبـــوّهْ ... لم تَشكُ كَلّه ولا نُبُوّهْ[2]
وباز من صاد وسهمُ مَن رمى ... من الهُـداةِ الراشدين الكُـرَما
ما ضرّ عَمْراً مُنضِجَ الهواجرِ ... إن كان لم يَنصُرْ ولم يُهاجرِ
كم هجرَ النـــومَ أبو محمدِ ... واكتحل العِثْيَرَ بعـد الإِثْمَدِ

***

عَمْرو القنا والرأى والجـدودِ ... رمى به الفاروقُ فى الحـدودِ
على فلسطينَ حَمَى الراياتِ ... وحملَ الخيـــلَ على الغاياتِ
إذا المَضيقُ لم يجـــد مَضاءَ ... للسيف ، قام رأيُه فضـــاءَ
حتى حـــوى لعُمَرَ الإِقليما ... وحاز للإِســـلام أورشليما
فتحٌ تولّى صَكّه الإِمام ... وأُخِـــذَ الميثاق والزمام
يا صخرةَ الله اشهدى أنّ عُمَرْ ... أبرُّ من نهى وأوْفَى مَن أمرْ

***

---

(١) اى سيفا ماضيا (٢) كل السيف لم يقطع ونبا عن الضريبة ارتد عنها

سما إلى مصرَ بطَرْفٍ وطمَحْ ولم يزل بعمَرٍ حتى سمحْ
وجهـــــه فهبّ والغزاةَ كما أطار الصيّدُ[١] البزاةَ
يطوى بهم طائحةَ الركائبِ آكلة البعوثِ والكتائبِ[٢]
أنعاكِ أم أسقيك من بَيْداء ؟ كانت دواء أبداً وداء
ماذا دهى مصرَ من الطوارى ولقيتْ من ذلك الجـــوارِ
كم رعتِهـــا بداهمٍ جرّافِ وآفةُ الجسم من الأطرافِ
وربّ جلاّدٍ على جلاّدِ سَلّطتِ ويلين على البلاد[٣]
كم عصفتْ منكِ السوافى الهوجُ وهبّتِ الحاصبةُ السيهوجُ[٤]
وكم بعثتِ بالمبشّرَاتِ[٥] على موات الحق منشراتِ
وكنتِ إن أرسلتِ رائدينا طويتِ دِيناً ونشرتِ دينا

* * *

شُرِّفتِ بالعـذراء والمهاجِرِ[٦] وبالخليـــــل آيبا بهاجَر
وســـيق فيك يوسف جليبا فلقِىَ التمليـــكَ والتغليبا
ووطِئتْ بساطَكِ الأسـباطُ وانتظم الشملُ والاغتبـــاطُ
وحُزتِ موسى جائِلاً وجائبا يســـتقبلُ الآياتِ والعجائبا
ومُصبحاً بقفرةٍ ومَجهـــلِ وممسياً بربوةٍ ومَنهـــلِ
وطالِماً مخـــارمَ الجبـــالِ وقابسَ النور على الأقبـالِ[٧]

---

(١) جمع صائد والبزاة جمع باز (٢) اشارة الى الصحراء (٣) اى رب غاز فاتح رميت على وادى النيل فجاءه غاز آخر من الجيوش المغيرة يخرجه فكانا ويلين على البلاد (٤) السيهوج من الرياح الشديدة (٥) المبشرات الرياح الطيبة ، اشارة الى الذين دخلوا مصر من الصحراء من الرسل والحواريين (٦) عيسى اذ هو طفل (٧) المرتفعات من الأرض

ترمين أرضَ النيل عن قوس الفَلَكْ ... يوما بشيطانٍ ويوما بمَلَكْ
تهـــدين نوراً تارةً ونارا ... والطامسَ المنـــارِ والمنارا
حتى مشتْ كتيبةُ الحوارى ... عليك كالأنواء والأنوار[1]
وما النجومُ الزُّهْرُ حَفَّتْ بالقمرْ ... أروع من عَمرٍو على خيل عُمَرْ
ولاقنا الأسباط[2] حول يُوشَعا ... أعفَّ من قنـــاهما وأخشعا

***

كتيبةٌ قليـــلةُ العـــديدِ ... كثيرةٌ بدينها الجـــديدِ
طوتْ الى مصرَ القفارَ طيّا ... وركبتْ رياحَهـــا مَطيّا
فبلغ العُمْرانَ عمـــرٌو فرمى ... بجمعه الرومَ حِيال الفرَمَا[3]
تسلقوا حصـــونَها تَسَلّقا ... واقتحموا ماردَهـــا والأبلقا
واخترقوا التخومَ والحـــدودا ... سبحان من يُداول الجـــدودا
ورووِدتْ بلبيسُ حتى أذعنتْ ... ورُكبتْ بالمسلمين إذ عنتْ
ترجّل الحماة عن حصونها ... ونزل الأُباة عن مَصـــونها
وظلّتِ الخيلُ تجوب الوادى ... أندى على الريف من الفوادى
يســـيرُ فى رُخائها المـــلاّح ... ولا يحسُّ وطْأها الفـــلاح
حتى بدت منـــازل الرومانِ ... ساهرةَ الْخَطّىِّ[4] واليمـــانى
فى حضنِ حِصنٍ أو ذَرَا لواءِ ... بعيدَىِ المَصْعَـــدِ فى الجْواءِ
فنزلوا ســـوادَ عينِ شمسِ ... وِسادهم رِحالهم كأمسِ

---

(١) الأنواء الأزهار والأنوار الأضواء (٢) الاسباط من اليهود كالقبائل من العرب
(٣) موضع من الحدود كان محصنا (٤) الرمح والسيف

وجثموا الآنَ عيونا ساميهْ   تجسُّ حصناً أو تجوس حاميهْ

تخرج الرومانُ للقتـــالِ   فى جحفلٍ مدجَّج مُختـــالِ

رحى الوغى بمثـــله تدور   وقطبها فى قلبه (تيـدور)

ليس لعمرٍو ما له من كثرهْ   وخوْذةٍ وشِـــكَّةٍ ونثرهْ

فأقعـــد الغازى له الكمينا   وأخذ الشِّمالَ واليمينـــا

يومٌ عليـــه بنيتْ أيام   لأمةٍ جدودها قيـــام

من يصطبرْ للصدمة الأولى يَسُدْ   لا يصلح الفَلُّ(١) ولو كانوا الأُسُدْ

بياب أليونَ تيودور اعتصمْ   فيمن وَهى من الصفوف وانفصمْ

وجىء بالأمدادِ والسوادِ   من شحنةِ الروم ورِقبطِ الوادى

وظن أن الحصنَ مُعجز العربْ   فما لهم غير النكوص مُضطرَبْ

فان أبوْا أدّبهم بيومِ   ما بعـــده قائمـــةٌ للقومَ

فوردتْ كتيبة الزُّبَيْرِ   وعُمَرٌ مصـــدرُ كلِّ خيرِ

وظل بابليون وهو عاصِ   على الزبيْرِ وعلى ابن العـــاص

حتى تسوّرَ الزبير سـورَه   واغـــترّ فى وُكونها نُسورَه

مشى على ناقوسِه مكبِّرا   يا لكَ ناقوساً أُحيـــلَ مِنبَرا

أوْفَى على القوم فريعَ البرج   بفـــارسٍ له السماء سَرْجُ

صوتٌ هفا فى الحصن بالعزائمِ   كنبْأةٍ فى جوفِ أيْكٍ نائمِ

فضاع رشد الروم والصواب   وفُتحتْ من نفسها الأبوابُ

---

(١) بقية الجيش المنهزم

تبـــارك الله وجلّتِ العربْ ... لم يَثْنِهِم جوٌّ ولم يَعُقْ سَرَبْ

من فتْح بلبيسَ لعين شمسِ ... لا يُصبِحُ الضيغَمُ حيث يُمسى

وركب[1] العِلْج العصا[2] بمن معهْ ... إلا قليـــلاً غودروا فى المعمعهْ

يبغى دمنهورَ بهم نجاءها ... فى مَدَدٍ قد مـلأوا أرْجاءها

وإذْ على آثاره خيـل العربْ ... وخيله من هربٍ إلى هربْ

بعـد قتالٍ جال فيـــه الروم ... وطاح أبطالهمو القـروم

واندفعتْ خيل الإمام تعـدو ... يقـــدُمها اليمن ويحدو السعد

حتى بدا الثغر فودّتْ قُبلَهْ ... كما اشتهى العبْسىُّ[3] ثغرَ عَبلَهْ

ورابطتْ تجرّتِ الأرسـانا ... والتفتتْ تعاتب الفرسانا

وطيفَ بالثغرِ فلا ثنيّهْ ... الا عليها رَصَـــد المنيّهْ

فكيف لا يودِى برشد قيصرا ... أو بصواب قومه أن تحصَرا

أقامهمْ سقوطها وأقعـــدا ... وزعموه فوق طاقة العِـــدا

* * *

وكان فى الاسكندرية الملا ... أملاكَ فى سلطانهم وأكملا

جموعهمْ فى ساحها بلا عَدَدْ ... والبحر يغــدو ويروح بالمدَدْ

ومن أصاب البحرَ فى سلطانهِ ... عدّ جميعَ الأرض من أوطانهِ

تقضّتِ الأيام والشهور ... والسيف فى غير وغىً مشهور

يفترّ عن لألائه فم الجُمَعْ ... وتحتها للثغر خوفٌ وطمعْ

---

(١) كل عظيم من الروم (٢) ركب العصا اى هرب ، من المثل المشهور : فاز من ركب العصا. والعصا فرس لها قصة (٣) عنترة المشهور وعبلة حبيبته

وربه يستـــنزل الرومانا	ويعرض الإصلاحَ والأمانا
حتى أُعينَ رَجُل الإمامِ	برَجـــلِ القياصر الهمامِ[١]
وفُتحت مدينة الإسكندرِ	صُلحاً وصفواً ليس بالمُكدَّرِ
تأخَّر السيف وشارط الندى	يا غَبن من يُشارط المُهندا
فقيل راعى المسلمين الوالى	وكان فى السرِّ لهم يُوالى
وقيل بل ذو مأربٍ أرادا	بسُلطة الـكنيسةِ انفرادا
وكان فى فَروقَ سلطان البِيَعْ	تعنو له فى سائر الأرض الشِّيَعْ
حكم جفاه الاعتدال وقسا	إنى أراهم ظلموا المُقوقَسا
لعـــله تبيَّن الحقائقا	وذاد عن مصرَ بلاءً حائقا
ووجـــد الرومان والقياصرا	لا يَملـكون فى البلاد ناصرا
يرونها العنف والاستكبارا	ولا تُحبُّ الأمُ الجبَّارا
مما مضى الدهر عليه والاوَلْ	أن النجاحَ لفتيّات الدُّوَلْ

---

(١) هو المقوقس عظيم القبط يوم ذاك

خالد بن الوليد

مَن طَبع السيفَ ومن جلاهُ ؟ هل يصنعُ الآياتِ إلا اللهُ ؟
إنْسُ الحـــديد ، بَشَرُ الفِرنْدِ ليس بصنع يمنٍ أو هنـــدِ
وكيف لا يَصحبه المَضـــاء وقينُه المقـــدارُ والقضاء
قلّدَه من ربّه محمّـــد يسُـــلُّه بإذنه ويغمِـــدُ
خُلِقتُ لا أعظَمُ السـيوفا الا الشريفَ العالىَ العَيوفا
المفتدى بحـــده من مظلمهْ والمهتدَى بنوره فى المُظلِمهْ
والناصرُ الحـقَّ على المُقاتلِ والضاربُ الباطلَ فى المقاتلِ
والرافعُ الدُّولاتِ ركناً ركنا بالحق بنيانَ الخليل الرُّكنا
كابن الوليد مَوْئلِ الأعـــلامِ سيفِ الإلٰه أســـد الإسلامِ
طلّقَ جاهليّةَ المعـــاصى ودخل الإسلامَ وابنَ العاصِ
كلا العظيمين فتى قريشِ صـــدرُ نَدِىٌّ ، ولواء جيشِ
تخـــيّرَ السمحةَ غيرَ دارِ ما خلفها من عجب الأقـدارَ
من نِعمَ تترَى وعيشٍ مُرغَدِ وشأنِ اليوم وذِكرٍ فى غـدِ
سبحانَ ربّى مُنشىء النوابغِ مُرتجِـــل المواهب السوابغِ
هـــل خالدٌ الا فتى من فِهرْ لم يشتهرْ بصوْلةٍ وقهـــرِ
مَـــنزلةٌ فى غالبٍ عَليّـهْ وشِـــيَمٌ تقطـــر جاهليّه

زهوُ الصناديدِ بنى الجِلادِ[1] ونفخةٌ بالقوم والميــــلاد
نفسٌ غذتْها الجاهليـــةُ الدما وأرضعتها جرأةً ومقـــدَمَا
ونُهيـــةٌ كالجوهر الوقادِ لم تبـــد للصائغ والنقّادِ
فكان من عناية الســـلامِ به اكتسابُ أدبِ الاسلامِ
إذ كان فى دولته مَجـــالُ فيـــه جَلتْ أسرارَها الرجالُ
لا بد للعقل الكبير من وسطْ وللشعاع من مدى ومُنبسَطْ
ربَّ هباتٍ ذهبت هَبـــاء كما أتى بها الترابُ باء
موفّق الآراء والراياتِ معلّقُ الهمة بالغـــاياتِ
إذا غزا عن النبىّ أو سَفرْ اقترحَ النجْحُ عليـــه والظفَرْ
سمّاه سيفَ الله يوم مؤْنَهْ مُعظِّماً فى الآخِرين شأنَهْ
فما مضى فى موطِنٍ أو همّا الا وكان اسماً على مُسَمّى
أليس كافِىَ الامام الشدّهْ وقامعَ الفتنـــةِ يومَ الرِّدّهْ ؟
وقاتلَ الكذّابِ[2] فى المعاركِ وكلّ أفّاكٍ له مشـــاركِ
أيامه مشهورةٌ فى فارسِ مسطورة فى صحف الفوارسِ
خاض بهـــا الوقائعَ الكبارا وفتح الحـــيرةَ والأنبارا
واحتاجتِ الشام الى همامِ أروع يحمى عسكر الإمامِ
يقحُمها على جمـــوع الرومِ وينثنى بفتحها المـــرومِ
وهى تموج بجموع قيصرا وعالَمٍ من عـــربٍ تنصّرا

---

(١) الجلاد التجالد (٢) مسيلمة وكان ادعى النبوة بعد موت رسول الله

قبـــائلٌ فؤادها موزّع ... دينٌ هو الغالى وعِرْقٌ ينزعُ

فلم تقعْ الا عليه الخــيرهْ ... إن الرجال أفضـلُ الذخيرهْ

نخفّ للغيـاث فى ليوثِ ... صحـابةٍ أهِـلّةٍ غيوثِ

خلّى العراقَ وتولّى الشـاما ... نجماً لأهوال السرى جشّاما

يقطع غُفْـلا ويجوب بائرا ... إن المُغيث من أتاك طـائرا

فكان فى السّماوة[1] الرئبالا ... لا تذكر الألبَ وأنّبيـالا

تخفِق فوق رأسه العقاب[2] ... فى مَهمهٍ تُنـكره العقاب

حتى حوى الجيشَ القرى فصارا ... بين ديار العرب النصـارى

أحراس تخمٍ وحُماة حدٍّ ... وحاطة الأطراف من تعدٍّ

سل تدمرا والقريتين وأركْ ... هـل ثبتوا لخالدٍ فى معترَكْ

وسلْ به غسّانَ كيف صُبّحوا ... بالخيل جاءت من بعيدٍ تضبَح

هبّتْ على الشام قبولاً ريدهْ[3] ... فاستروحَ الغوثَ أبو عبَيْدَهْ

أوفتْ على اليرموك تَطغَى من طربْ ... ياماتمَ الروم ويا عرْس العرب !

أقبل سيف الله يزجى خيلَهُ ... ويلَ هِرَقْلٍ منه ثم ويلَه !

وأمّرَ الجيش عليهم خالدا ... وانتظروا اليومَ العظيم الخالدا

فعُبّىءَ الحــزبان للطّامِ ... طامٍ يعبُّ لــنزال طامِ

تراءيا على تفاوتِ الفئهْ ... ذا مثْتا ألفٍ وذا نصفُ المئهْ

---

(١) مغازة مشهورة بين العراق والشـام اجتازها خالد بن الوليد مكان عملا عظيما له شأن في تاريخ الحروب (٢) العقاب الأولى راية الرسول والثانية الطائر المعروف (٣) أى هبت الأمداد هبوب الريح اللينة فوجد أبو عيدة ريح الذوث والنجدة

ونشبت جائحة[1] الدهورِ عـــدوةُ القاهر والمقهورِ
فداهمَ الرومَ الرّعيل المسلِم إن العتيقَ[2] بالعِتاقَ أعلَم
واخترق الهيجاء فرسان العجمْ تحت سروج لخيل أو فوق اللُّجمْ
أما الرَّجالَى[3] فاحتموْا فى الخندق ليلاً فمُسُّوا بالبلاء المحدِقِ
يومٌ كبدرٍ فى الفتوحِ منزِلَهْ أمسَى هِرَقلٌ بعده لا عزَّ لهْ
لما رأى سلطانَه تداعى صاح الوداعَ سوريا الوداعا

---

(١) أى نادرة الدهور . وهى الحرب (٢) أبو بكر . أى هو أعلم باختيار الخيل
(٣) جمع راجل وهو فى الحرب خلاف الفارس

دولة بنى أميه

علمت أن السيفَ بنّاء الدوَلْ ... وركنُها فى الآخرين والأُوَل
ما زال فى الممالك الأساسا ... به بناها مَن بنى وساسا
يَقصِر حبلَ الملكِ أو يمدُّه ... ما رسمَ الحدودَ الا حدُّه
لم يَبنِ للفرس ولا الرومانِ ... حائطَ ملكيْها سوى اليمانى
وأىُّ دينٍ بسوى السيف انتشرْ ... كم أُيّدت بالسيف أديان البشرْ
لم يغنِ داعى الحقِّ والفلاحِ ... عنها وأغنتْ صَلَّة السلاحِ
فلا تقولَنَّ بغتْ مَرْوانُ ... ووطَّأ الملكَ لها العدوانُ
كذاك قبل كانت الممالك ... وبعد لم تختلف المسالكُ
تنال بالقوة مبتغاها ... وإنما أذهبُها أبغاها

***

فى الشرق والغرب بنتْ أميَّهْ ... سلطنةَ ليس لها سميَّهْ
خلافةٌ على البسيطةِ احتوتْ ... شرقَ الثرى حازت وغَرْبَهَ حوتْ
حيزتِ بجُند الجيَلِ المجنْدِ ... وأحرزتْ بالرأى والمُهنَّدِ
احتازها من الجرىء القُلَّبُ ... وغلَبَ الليثَ عليها الثعلبُ
بنيان قطب الملكِ والرياسهْ ... داهية الأمور والسياسه
ونالها من آله ملوك ... تفاوتوا واختلف السلوك

فهمو الدرُّ ومنهمو الحصـــا ومَن هو السيف ومَن هو العصا
خليفة برّ وآخـــر فَجَرْ ذاحَجر[1] الأرض وذا بعض الحجرْ
ما تلك الا دولةُ الزمانِ حلّتْ محـــلّ دولة الرومانِ
من الطِّراز العـــربىّ الأوّلِ على الدخيلِ قـــطُّ لم تعوّلِ
لم تعتمدْ على عقـــول فارسِ ولا سيوف الدّيلَمِ الفوارسِ
كالشمس فى الشرق زهتْ ضُحاها والغرب لا يخرج عن رُحاها
تقلّبَ الإســـلام فى رَخائِها وجَـــرَتِ الآمال فى رحائها
وزخرتْ بالعـــلم والبيان وأخرجتْ فرائدَ الأعيـــانِ
حازلواءَ الشعر فيها الرّزدَق[2] جرير والأخطل والفرزدق
وما رأى المنبرُ من عِطْفَىْ مَلِكْ كابن أبى سفيانَ أو عبدِ الملكْ
أو كزيادٍ خطبةً إذا انبرى والثقفى[3] حـــين يرقى المنبرا
ورزقتْ أربابَ سيفٍ قادهْ أعطتهمو الممالكُ المقـــادهْ
فنـــابها المهلَّب الغضنفرُ وغابهـــا قتيبَة المظفَـــرُ
سل ثَبَجَ البحر وعرضَ البرّ عن طول باع الفاتحين الغُرّ
ابنِ نُصيْرٍ مرسِـــلِ البُزاةِ والحَكَمِ الحـــاكم فى الغزاة

* * *

أما دمشـــقُ فمقرُّ المُلكِ ومقعد التـــاج ونَظْمُ السلكِ
بل شامةٌ والشامُ وجنةُ الثرى تَرِفُ فردوساً وتجرى كوثرا

---

(١) حجر الأرض الرجل العظيم (٢) الرزدق الصف (٣) الحجاج

مهدُ معالى مُلكِهِمْ وأسُّها   لا عجبٌ أن يرفعوها للسُّها
ظلّتْ على أيامهـــمْ تَزيّدُ   تعمرُها يدٌ وتكسوها يدُ
وتُزلَفُ الدنيـــا لها وتُجبَى   وينثنى بها الزمانُ عُجْبَا
حتى جلتها دَولةُ الوليـــدِ   فى أزْيَنِ الطريفِ والتليدِ
وكَمَلتْ محـــاسنُ العروسِ   وعُوِّذتْ بالجـــامع المحروسِ
تأنقتْ يدُ الوليد فيهـــا   واستَبقَتْ أكفُّ مُتَرفيها
فأصبحتْ حـــديقةَ الفنونِ   وهيكلا من مَرمرٍ مسنونِ
تَفيضُ من عجائب العِماره   وحُجَرِ الصـــلاة والإِمارهْ
ثم هوى أقمارُها وأبعـــدوا   فخلفتْ بعدَهمو لا تسـعَد

* * *

رمتْ يدُ الدهر بنى مروانا   إن لكلّ مصرعٍ أوانا
فذهبوا عن حسناتٍ تُذكَرُ   وســيئات جمّةٍ لا تُنكَرُ
أما الأمـــورُ فهمو دُهاتُها   دنتْ ودانتْ لهمو جهاتُها
وهم على الأمر العظيم أصـــبَرَ   لا يقربون اليأسَ حتى يُقبروا
أقوى بيوت العرب التئاما   وخـــيرُها بيتهمو وئاما
شبّانُهم من طينةِ الأبالسِ   وشيبُهم أنكَرُ فى المجالسِ
إذا جروْا لغـــايةٍ لم يحفِلوا   ما المركبُ الأعلى ولا ما الأسفلُ
منهم من استحسن قتلَ الآلِ   ولم يخفْ مساوئَ المآلِ
ومن رمى الـكعبةَ بالحجارهْ   وذعر البيت وراع جارهْ

ومنهمو من مزّق الكتابا ... معـــاتباً ، يا قبحَه عتاباً !
عاقـــر غِلمانُهمو المُداما ... ولازموا القيـــان والنّدامى
وانغمسوا فى الشهوات والترفْ ... وأفسدوا شبّانَ أبناء الشرفْ
رَعوْا على اليقْظةِ ثم ناموا ... فاصبحت للأسـد الأغنام
جنى عليهم سَرَفُ الأبُوّهْ ... وبَغيُهم على بنى النبوّهْ
ونصبُهم للحُكم كلَّ غاشِم ... جرتْ يداه فى دماء هاشِم
ولعنُهم خُلاصــــةَ الأكابرِ ... أبا الزّكيّيْنِ ، على المنـــابرِ
وغـــدرُهم بابن نصيْرِ الوفى ... مُشيِّدِ الدولة فى الـــبرّ وَفِى
أمسوْا حماهم حرمُ الأمانِ ... وأصبحوا طريدةَ الزمانِ
مروانُ وهو منتهى أُميّهْ ... لم يفقــدِ العزمَ ولا الحَميّهْ
قاتلَ حتى خانه المجـــالُ ... وأسـلمتْ دولتَهـا الرجالُ
والجنـدُ كالدنيا مع المُوفّقِ ... أعوانُه على الشقىّ المُخفِقِ
فـلم يزلْ من بلدٍ إلى بلدْ ... بالنفس ينجو والنساء والولدْ
حتى رمى مصرَ به المصـــيرُ ... وهُيِّئتْ قبراً له بوصـــيرُ
وآلُه بين مخالب الأسـدْ ... ينتزعُ الروحَ ويهتِكُ الجسـدْ
قـد وطِئوا النّطوعَ لا النمارقا ... وطأطأوا للسائف المَفـارقا
دنياهمو مســـدودةُ المذاهبِ ... ودورُهم لواهبٍ أو ناهبِ
وحزبُهم ممتنِعُ الهُـــدُوِّ ... حثيثـةٌ فيهم يدُ العـــدوّ
حتى إذا قيل خلتْ مروانُ ... وذهب السلطانُ والأعـوانُ

تلفتَ الناسُ وراءهمْ عَجَبْ الكوكبُ الشرقيُّ في الغرب احتجبُ
صــــقرُ قريشٍ منعوه جِلَّقَا فطار فى قرطُبـــةٍ وحَلَّقا
أنشأ مُلْكاً أمويّاً ضخما كمُلْك كسرى رُقعةً وتَخْما
ودولة قصّر عنهــا قيصرُ مما بها المدّن المصر
زهراء فى قرطبــةٍ تَأَلَّقُ بغـدادُ منها اقتبستْ وجلّق

صقر قريش (عبد الرحمن الداخل)

موشح أندلسى

من لِنِضوٍ يتَنَزّى[1] ألمَاً ... برح الشوقُ به فى الغَلَس
حَنّ للبانِ وناجَى العَلَما ... أين شرقُ الأرضِ من أندلسِ

***

بلبلٌ علَّمه البينُ البيانْ ... بات فى حَبل الشجون ارْتَبَكا
فى سماء الليل مخلوعُ العِنانْ ... ضاقت الأرضُ عليه شَبَكا
كلما استوحش فى ظل الجِنانْ ... جُنّ فاستضحك من حيث بَكى
ارتدى بُرْنُسَه والتَمَا ... وخَطا خُطْوةَ شيخٍ مُرْعَسِ[2]
ويُرى ذا حَدَبٍ إن جَثَما ... فان ارتدّ بدا ذا قَعَس[3]

***

فَمُه القانى على لَبَّته ... كبقايا الدّم فى نَصْل دقيقْ
مَدّه فانشَقّ من مَنْبِتِه ... من رأى شِقّىْ مُقَصّ من عَقيقْ
وبكى شجْواً على شُعْبَته ... شجْوَ ذات الثّكل فى السّتر الرقيقْ
سَلّ من فيه لسانا عَنَماً[4] ... ماضِياً فى البَثّ لم يَحتبِسِ

---

(١) يتنزى : يتوثب (٢) المرعس من رعس الرجل : اذا مشى مشياً ضعيفاً من الاعياء
(٣) القعس ضد الحدب وهو نتوء الصدر (٤) العنم شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب

وتَرٌ من غير ضَرْب رَنَّمـــا   فى الدّجى أوشررٌ من قبَس

* * *

نَفَرت لوعتُه بعـــد الهُدوءْ   والدُّجى يبتُ الجوى والبُرَحا
يَتعـــايا بجَنـــاح وينوءْ   بجَناح مـــذ وهَى ما صَلحا
ساءه الدهرُ وما زال يسوء   ما عليـــه لو أسَا ما جَرَحا
كلّما أدمى يـــديه نَدَما   سالَتا من طوْقه والبُرنس
فنبِتْ أهـــدابه إلاّ دَمَا   قام كالياقوت لم ينْبَجِس [1]

* * *

مَدّ فى الليـــل أنيناً وخَفَقْ   خفقانَ القُرط فى جنْح الشَّعَرْ
فرغَتْ منه النوى غير رَمَقْ   فَضْلَةَ الجرح إذا الجرحُ نَعَر [2]
يتلاشى نزَواتٍ فى حُرَقْ   كذبالِ آخرَ الليـــل استعَرْ
لم يكن طوقاً ولـكن ضَرَما   ما على لَبَّته من قبَس
رحمةُ الله له هـــل علِما   أن تلك النفس من ذا النفَسِ

* * *

قلت لليل ولليـــل عَوَادْ   من أخو البَثّ فقال : ابنُ فِراقْ
قلتُ : ماواديه ، قال: الشجوُ وادْ   ليس فيه من حجاز أو عِراق
قلتُ : لـكن جفنه غير جوادْ   قال : شرّ الدمع ما ليس يُراق
نَغبِط الطّيرَ وما نعـــلم ما   هى فيـــه من عذابٍ بئِس

---

(١) لم ينبجس : لم يتفجر   (٢) يقال جرح نعار أى جياش بالدم

فـــدَعِ الطَّيرَ وحظًا قُسِما صَيَّرَ الأيكَ كدُور الأنسِ

***

ناحَ إذ جَفناى فى أسْر النّجومْ رسَفَا(١) فى السُّهد والدّمعُ طليقْ

أيها الصارخ من بحر الهمومْ ما عسى يُغْنى غريقٌ عن غريقْ

إن هـذا السَّهمَ لى منه كُلُومْ كلُّنـــا نازحُ أيْكٍ وفريق

قلِّبِ الدُّنيا تجـــدها قِسمًا صرِّفَتْ من أنْعم أو أبْؤُسِ

وانْظرِ الناسَ تَجِدْ من سَلِما من سهام الدهر شجّته القِسِى

***

يا شبابَ الشرق عنوان الشَّباب ثمرات الحسَب الزّاكي النَّميرْ

حَسبُكم فى الكرم المحض اللُّباب سِيرةٌ تَبقى بقاء ابنىْ سمير(٢)

فى كتاب الفخر (للداخل(٣)) بابْ لم يَلجْه من بنى المُلك أمـــير

فى الشموس الزُّهرِ بالشام انتمى ونَمى الأقمـــارَ بالأندلس

قعَد الشرقُ عليهم مأتَمـــا وانثنى الغربُ بهم فى عُرُس

***

هل لـكم فى نبأ خير نَبَـأْ حِليـــةِ التاريخ مأثور عظيمْ

حل فى الأنبـــاء ماحلّت سَبأْ منزل الوُسطى من العقد النّظيم

مثلَه المقـــدارُ يومًا ما خَبَأْ لسليب التـاج والعرش كَظيم

يُعجزُ القُصّـــاصَ الاقلَما فى سوادٍ من هوى لم يُغمَسِ

---

(١) رسفا : تقيدا (٢) ابنى سمير : الليل والنهار (٣) هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بنى أمية فى الاندلس

يُؤثِر الصّدق ويجزى عَلَما قلَب العالَمَ لو لم يُطمَس

***

عن عِصامِىّ نبيلٍ مُعْرِقِ في بُناةِ المجد أبناء الفَخَار
نهضت دولتهم بالمشرقِ نهضة الشمسِ بأطراف النّهار
ثم خان التاجُ وُدّ المَفرقِ ونَبَتْ بالأنجم الزُّهرِ الديارْ
غفلوا عن ساهرٍ حول الحِمى باسطٍ من ساعِدَيْ مُفترس
حام حول الملك ثم اقتحما ومشى فى الدم مشى الضّرِسِ

***

ثأرُ عثمانَ لمروان مَجازْ ودَمَ السِّبْط[1] أثار الأَقْرَبُونْ
حسّنوا للشام ثأراً والحجاز فتغالى الناسُ فيما يطلبونْ
مَكرُ سُوّاسٍ على الدّهْماء جازْ ورُعاةٌ بالرّعايا يلعبون
جعلوا الحقّ لبَغْيٍ سُلّما فهو كالسّتر لهم والتُّرُس
وقديماً باسمه قد ظَلَما كلُّ ذى مِئْذَنَةٍ أو جَرَس

***

جُزِيتْ مروانُ[2] عن آبائها ما أراقوا من دِماء ودموعْ
ومن النّفس ومن أهوائها ما يؤدّيه عن الأصل الفروع
خَلَتْ الأعوادُ من أسمائها وتعطت بالمصاليب الجذوع
ظَلَمَتْ حتى أصابت أظْلَما[3] حاصدَ السيف وبِيَ المَحْبس

(١) يعنى بالسبط الحسين بن على صلوات الله عليه (٢) يعنى بمروان : بنى مروان
(٣) الأظلم هنا هو ابو مسلم الخراسانى صاحب دعوة بنى عباس وقد سلب بنى أمية ملكهم

فطِنًا فى دعوة الآلِ لِمـــــا همَس الشّـــانى وما لم يَهْمِس

***

لبست بُرْدَ النبيِّ النّـــيّرات من بنى العبّاس نوراً فوق نور
وقديـــاً عند مروان تِراتْ لزَكِيّاتٍ من الأنفُس نور
فنَجا الدّاخل ســبْحًا بالفُرات تاركَ الفِتنةِ تَطْغى وتَنُور (١)
غَسَّ (٢) كالحوت به وأقتَحَما بين عِبْرَيه عيـــون الْحَرَس
واقد يُجـــدى الفتى أن يَعلَما صَهْوَةَ المــــاءِ ومَتْنَ الفرَس

***

صحِب الداخلَ من إخـــوتِه حدثٌ خاض الغِمار ابنُ ثمـــانْ
غلَب الموج على قـــوّته فكأن الموج من جُنْدِ الزّمان
وإذا بالشّط من شِـــقْوتِه صائحٌ صاح به: نِلتَ الأمان
فانثنى مُنْخَدِعًا مُسْتَسْــلِما شاةٌ اغترّتْ بعَهد الأطْلَسِ (٣)
خضَب الجُندُ به الأرضَ دَما وقلوبُ الْجند كالصّخر القَسِى

***

أيها اليائسُ متْ قبل المَمَاتْ أو إذا شئتَ حيــاةً فالرّجا
لا يَضِقْ ذَرْعُك عند الأزَمات إن هى اشتدّت وأمّلْ فرَجا
ذلك الداخــلُ لاقى مُظْلِماتْ لم يكن يأمُـــل منها مَخْرَجَا
قـــد تولىّ عزّه وانصرما فمضى من غَـــدهِ لم ييأس

---

(١) نارت الفتنه . وقعت وانتشرت (٢) غس : دخل ومضى (٣) الأطلس : الذئب

رام بالمغرب مُلْكاً فرمى أبعدَ الغَمْرِ وأقصى اليَبَس

* * *

ذاكَ واللهِ الغنى كلُّ الغِنى أىَّ صعبٍ فى المعالى ما سَلَك

ليس بالسائل إن همَّ بتى لا ولا الناظرِ ما يُوحى الفَلك

زايــــل المُلكُ ذَوِيه فأتى مُلكَ قومٍ ضيّعوه فملك

غَمَراتٌ عارضَت مُقْتَحما عالِيَ النفس أشَمَّ المعْطَس[1]

كلَّ أرضٍ حلَّ فيها أو حِمى منزلُ البدرِ وغابُ البَيْهس[2]

* * *

نَزَل النَّاجى على حُكْمِ النّوى وتَوارى بالسُّرى من طالبيه

غيرَ ذى رَحْلٍ ولا زادٍ سوى جوهرٍ وافاه من بيت أبيــه

قمرٌ لاقى خسوفاً فانزوى ليس من آبائه إلاَّ نَبيــه

لم يجِدْ أعوانَه والخَــدما جانبوه غيرَ (بدر) الكيِّس

من مَواليــه الثقات القدَما لم يخنه فى الزمان المُونِسِ

* * *

حــين فى إفريقيا انحل الوِئام واضمحلَّت آيةُ الفتح الجَليل

ماتت الأمة فى غــير التئام وكثير ليس يلتامُ قليــل

يَمَنٌ سَلَّت ظُباهــا والشآم شامَها[3] هنديةً ذاتَ صليل

فــرّق الجندَ الغِنى فانقسَما وغــدا بينهم الحقُّ نسى

أوحشَ السؤددُ فيهــم وسَما للمعــالى من به لم تَأْنَس

---

(١) المعطس : الأنف (٢) البيهس : الأسد (٣) شام : سل

* * *

رُحِمـــوا بالعَبقرىّ النَّابه ... البعيد الهِمَّةِ الصَّعْبِ القِياد

مـــدّ فى الفتح وفى أطنابه ... لم يقف عند بناء ابن زياد[١]

هجرَ الصيد فمـا يُعْنَى به ... وهو بالملك رفيقٌ ذو اصطياد

سَلْ به أندلسا هـل سَلِما ... من أخى صيد رفيق مَرِس[٢]

جرّد السيفَ وهـــزّ القلما ... ورمى بالرأى أمّ الخُلَس[٣]

* * *

بســـلام يا شراعا ما دَرَى ... ما عليه من حَياء وسَخاء

فى جَناح المَلَك[٤] الرُّوح جَرى ... وبريح حفها اللطفُ رُخاء

غسَل اليمُّ جِراحاتِ الثَّرى ... ومحا الشِّدةَ من يمحو الرَّخاء

هـل دَرى أندلس من قدِما ... دارَه من نحو بيت المَقْدِسِ

بسليل الأُومَويّيـن سَما ... فتحُ موسى مُسْتَقَرَّ الأسس

* * *

أُمَوىٌّ للعُلا رحلَتُـــه ... والمعـــالى بمَطِيِّ وطُرُقْ

كالهـــلال انفردَت نُقْلته ... لا يُجاريه ركابٌ فى الأُفُق

بُنِيتْ من خُلُق دُولتُـه ... قد يَشيد الدُّوَلَ الشُّمَّ الخُلُق

وإذا الأخلاقُ كانت سُلَّما ... نالت النَّجمَ يَدُ المُلتمِس

فارْقَ فيها تَرْق أسباب السَّما ... وعلى ناصيةِ الشمس اجْلِس

---

(١) هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى (٢) المرس : الشديد المجرب فى الحروب ، يقال : انه لمرس حذر (٣) الخلس جمع خلسة وهى الفرصة (٤) الملك الروح : جبريل

* * *

أيَّ مُلْكٍ من بنايات الهِمَمْ ... أسّسَ الدّاخلُ فى الغربِ وشاد

ذلك الناشئُ فى خيرِ الأمم ... ساد فى الأرض ولم يخلق يُساد

حكّمت فيه الليالى وحَكَمْ ... فى عَواديها قِيـاداً بِقياد

سُـلِب العزَّ بشرقٍ فرَمَى ... جانبَ الغرب لعزّ أقعَس

وإذا الخيرُ لعبـدٍ قُسِما ... سنَحَ السّعدُ له فى النَّحَس

* * *

أيهـا القلب أحقٌّ أنتَ جارْ ... للذى كان على الدهر يجيرْ

ها هنا حلَّ به الرّكب وسارْ ... وهنا ثاو إلى البعث الأسـير

فَلَكٌ بالسّعد والنّحس مدارْ ... صَرع الجامَ(١) وألْوى بالمُدير

ها هنا كنتَ ترى حُوَّ الدُّمَى ... فاتنـاتٍ بالشّفاه اللُّعُس(٢)

ناقلاتٍ فى العَبـير القَدَمَا ... واطئاتٍ فى حَبيرِ السُّنْدس

* * *

خُذْ عنِ الدّنيا بليغَ العِظَةِ ... قد تجلَّت فى بليغِ الكَلِم

طَرَفاها جمعـا فى لَفظَةٍ ... فتأمّل طرَفيْهـا تَعلَمِ

الأمانى حُـلُمٌ فى يقظةٍ ... والمنـايا يقظةٌ من حُلُمِ

كُلُّ ذى سِقْطَيْن(٣) فى الجوّ سما ... واقعٌ يومًا وإن لم يُفْرَس

وسـيلقى حَيْنَـه نَسر السما ... يوم تطوى كالكتاب الدرس

* * *

(١) الجام : الكأس (٢) اللعس : سواد مستحسن فى الشفة (٣) السقط جناح الطير

أينَ يا واحدَ مروانَ عَلَمْ ... من دعاكَ الصقرَ سمّاه العُقاب[1]
رايةٌ صرّفها الفرْدُ العَلَمَ ... عن وجوه النصر تصريفَ النقاب
كنتَ إن جرّدتَ سيفاً أو قلَم ... أُبْتَ بالألباب أو دِنْتَ الرِّقاب
ما رأى الناسُ سواه عَلَما ... لم يُرَمْ فى لُجّةٍ أو يَبَس
أعلى رُكنِ السّماكِ ادّعَما ... وتَغطَّى بجناح القُدُس

***

قصرُكَ (المُنيةُ) من قُرْطبة ... فيه وارَوْكَ ولله المصير
صَدَفٌ خُطَّ على جوهرة ... بيد أن الدهر نبّاشٌ بصير
لم يدع ظلا لقصر (المنية) ... وكذا عمر الأمانىّ قصير
كنتَ صقرا قُرَشيّاً عَلَما ... ما على الصقر إذا لم يُرْمَس
إن تَسَلْ أين قبورُ العُظما ... فعلى الأفواه أو فى الأنفُس

***

كم قبورٍ زينت جيدَ الثرى ... تحتها أنجسُ من مَيْتِ المجوس
كان مَن فيها وإن حازوا الثرى ... قبل موت الجسم أموات النفوس
وخلالٌ تتزكّى [illegible]براً ... من ثناء صِرنَ أغفال الرموس
فاتخذ قبرك من ذِكرٍ فما ... تَبنِ من محموده لا يُطْمَس
هيكلٌ من حجرٍ سكنت الهرما ... أين بانيه المنيعُ المَلْمَس

---

(١) العقاب : اسم راية الداخل

خلافة عبد الله بن الزبير

خليفةٌ ما جاء حتى ذهبا ... ضاع عليه الدمُ والمال هبا
الصاحبُ ابنُ الصاحب الكريمِ ... الجللُ المَطْلَب والغريمِ
ابنُ الزبير وكفى تعريفا ... إن الشريفَ يلدُ الشريفا
أبوه هَضْبةُ العلا الشمّاء ... وأمه فى الشرف السماء
مستقبِلُ الأيامِ بالصيامِ ... ومُتعبُ الظلام بالقيامِ
وأخوَفُ الناس إذا الليلُ دجا ... وأشجعُ الناس إذا تدجّجا
وأطهرُ المعاهدين ذِمّهْ ... وأكبرُ المجاهدين هِمّهْ
وثباً من الخوارج الشدادِ ... الى بنى أمية اللدادِ
الى مداراة بنى العباس ... والعَلويين الشدادِ الباس
فانتظمتْ أهلَ الحِجاز بيْعتُهْ ... واحتكمت فى البصرتين شيعتُهْ
ودخل العراقُ فى وَلائِهِ ... وخرجتْ مصرُ على أعدائِهِ
فضاق مَرْوانُ به ذراعا ... وانخرعت قدرته انخراعا
بابن الزبير لا يقاس ابن الحَكَمْ ... لا ترفعُ الأحكامُ كلَّ من حكمْ
لا يستوى مَن عُمرَه تحنفا ... ومَن رسولُ الله أقصى ونفى
مروانُ ليس للأمور صاحباً ... وإن غدتْ لذيلِه مساحبا
جرّ على عثمانَ ما قد جرّا ... أراد أن ينفعَه فضرّا

رب عـــدوٍّ عاقلٍ أشكا كا ورب ودٍّ جاهـــلٍ أبكاكا

لـكنه أبو النجوم الزُّهْرِ مصابحِ الأمر مُلوكِ الدهر

حدَّثْ إذا باهى الملوكُ بالولدْ عن حَجَر الأرض وبيضةِ البلدْ

يدنو بنو المنصور من أبنائِهِ فى الرفق بالملكِ وفى بنائِهِ

ما كسليمانَ ولا عبدِ الملِكْ ولا الوليدِ عاهـلٌ ولا مَالِكْ

***

لمـــا أتى ابنَ الحـكَمِ الحِمامُ آل لعبـــد الملك الزمام

فيا شقاء ابنِ الزبير ! ما لقى ؟ لقد أُصيبَ بالدهيِّ الفياق (١)

فتى من النوابغ المُرّادِ إن همّ لم يُثْنَ عن المرادِ

قـــد نضجتْ آراؤه غلاما ورُزِق الهمةَ والـكلاما

وكان فى الشرعِ شراعَ الأمّهْ وفى الحـديث مُستَقَى الأئمّه

فاق فلولا بخلُه وغـــدرُهُ فات مقاديرَ الملوك قدرُهُ

ما زال فى الشام إلى أن راضها ضمّ قواهـا وشفى أمراضَها

فاجتمعتْ لذى دهـاءٍ حُوّلى كعهدها بالأمويِّ الأولِ

رمى بهـــا مجموعة مُمدَّهْ إن النظامَ عَـــدَدٌ وعُدَّهْ

فظفرتْ بفِرَق الخـــوارجِ من داخـلٍ فى طاعةٍ وخارجِ

ولم تدعْ لابن الزبير جمْعـــا الا أراها طاعـــةً وسمعا

بعد حروبٍ وائليّـةِ الحرَبْ لولا سُباتُ(٢) الروم ضاعت العربْ

---

(١) الفيلق الرحل العظيم (٢) أى نومهم وغفلتهم

أحستِ المسلةُ فيها بالغرر[1] ورُمِىَ البيتُ العتيقُ بالشررْ

وطاح فيها مُصعبٌ كريما يحمى كليث الغابة الحريما

وضاق عبد الله عن عبد الملكْ ورأيهِ الوضاء فى الخطب الحلكْ

انصرف الكُرّارُ والكُماةُ وانحرف الأنصارُ والحماةُ

أسلمه الأهلون حتى ابناه وخذلتْ شِمالَه يمناه

فجاء أمّه، ومَن كأمّه ؟ لعلها تحمل بعضَ همّهْ

والبيتُ، تحت قسْطلِ الحجّاجِ وخيلُه أواخذُ الفِجاجِ

فقال ما ترَيْنَ فالأمرُ لكِ للموت أمضى أم لعبد الملكِ ؟

قالت بنىّ وَلدَ القوّامِ وابنَ العتيق القائم الصوّامِ

أنظرْ فان كنتَ لدينٍ ثرتَ فلا تفارقْ ما اليه سرتَ

أو كانت الدنيا قُصارَى همتكْ فبئس أنت، كم دمٍ بذمتك ؟

إلحقْ بأحرارٍ مضوْا قد أحسنوا فالموتُ من ذلّ الحياة أحسنُ

ولا تقلْ هنتُ بوهْن من معى فليس ذا فعْلَ الشريف الألمعى

ومُت كريمًا أو ذُقِ الهوانا وعبَثَ الغلمان من مرْوانا

أنت إلى الحقّ دعوْتَ صحبَكا فاقضِ كما قضوْا عليه نَحبَكا

ولا تقلْ: إن متُّ مثّلوا بى وطافَ أهلُ الشام بالمصلوبِ

هيهات ما للسّلخ بالشاة ألمْ ورُب جِذعٍ فيه للحق عَلَمْ

وعانقتْه فأحستْ دِرعَا قالت: أضِقْتَ بالمَنون ذرعا ؟

---

(١) الغرر الخطر

مثلُك فى ثيـــابه المُشَمّره جاهد لا فى الحلَق[1] المسمّرهْ

لا تمضِ فيها وأرحْ منها الجسدْ وامض بلا درعٍ كما يمضى الأسدْ

فنزع النثرةَ عنـــــه وانطلقْ فى قلة يلقى العـديدَ فى الْحَلَقْ

فمات تحت المرهفـــات حرا لم يألُ خـــيرَ الأمهات برّا

(١) أى الضلوع

موت ابراهيم الامام والبيعة لاخيه السفاح وخلافته

الأمرُ آل أحسنَ المآلِ ... بيمنِ ابراهيمَ رأسِ الآلِ
فتى العفافِ والحجى والنائلِ ... ومعدِنِ الأخلاقِ والفضائلِ
دعى القرى لأمره فلبّتِ ... وحضنَ الدعوةَ حتى شبّتِ
ومات لا أقولُ فى أثنائها ... بل وهى عند مُنتهى بنائها
نالتْه فى ناديه للقوم يدُ ... وصِيدَ فى واديه وهو الأصْيَدُ
أُلقِىَ فى السجن فكان حُفْرَتَهْ ... أماته الله وأحيا أُسرتَهْ
بينا به تَهامَسُ النُّعاةُ ... إذ بأخيه هتف الدُّعاةُ
بويع فى الكوفة للسفّاحِ ... فى ثَبَجِ الدعوة والكفاحِ
نعى أخاه ونعى أميّهْ ... وقام بالدولة هاشميّهْ
فى جمعة مشهودةٍ هى المُنَى ... هشّ اليها عرفاتُ ومِنَى
فكانتِ الكوفةُ مَبزَغَ القمرْ ... قد طلع السعد به على الزُّمَرْ
بُويعَ فيها النفرُ الأعلامُ ... ونال عُليا الدولِ الإسلامُ
قام أبو العباس بالإمامه ... ابن جلا المُسوّد العمامه
فتى تَضاءلُ الفُتِىُّ حولهْ ... داعٍ لمُلْكٍ داعمٌ لدولهْ
كالبدر فى سمائه بل أجملُ ... لو كان فوق الأرض بدرٌ يكملُ
قد رجع الأمرُ به للأرْبُعِ ... واجتمع الأمر له فى أربَعِ

إبنُ الغيوث لم يَعِدْ إلا صَـدقْ ولم يَجُدْ الا استهلّ وغَـدَقْ

ألينُ من صَمصامةٍ وأقطَعُ لا يعرِفُ الرحمةَ حين يُقطَعُ (١)

قـد كان بين الدولتين يومُ عزّ به قومٌ وذَلّ قومُ

التقتِ الأحزابُ بالأحزابِ واقتتل الجمان حول الزابِ

نهرٌ جرى الأمرُ العظيمُ حولَهْ عُبــــور دولةٍ ونشأُ دولَهْ

وكان مروان أتمّ فيلقــــا وجنـدُ عبد الله أوْفَى فى اللقا

فأجزل اللهُ من الإظهار والنصرِ لابن السادة الأطهـارِ

ما غربتْ شمسُ نهار البــــاس حتى بدتْ شمسُ بنى العباسِ

هم أمّلوا كيوشعَ الإدالهْ والنصرَ قبـل غيبـة الغزاله

فـكانت النيــــةُ ذات شأنِ وكادت الشمس لهم تستأنى

تصرمت دولة عبـدِ شمسِ ودبرتْ أيامُهم كأمسِ

بعبد شمسٍ فاز عبدُ المطلِبْ لا كفء للغالب الا من غُلِبْ

فذ خـلا الجوُّ لسيفِ هاشِمِ هبّ هبوب المستبدّ الغاشِمِ

المستبيح فى دخول البيتِ هــــلاكَ حيٍّ وانتهاكَ ميت

فهتك القبورَ وهى حُرمهْ من مات فاترك للمميت جُرْمه (٢)

ومُنيتْ أميــــةٌ بساطِ (٣) أبدلها النِّطعَ من البِساطِ (٤)

وكلّ جُرمٍ واقعُ العقـابِ ولو على الأنسال والأعقابِ

ثم قضى مُقتبلَ الشبابِ عن دولة مُقبلةِ الأسبابِ

ففقدتْ به القرى حيـــاها ومات بالأنبار من أحياها

---

(١) أى يعق وتقطع رحمه (٢) أى ذنبه لأن الميت لا يعاقبه الا الله (٣) أى ذى سطو
(٤) النطع ما كان يفرش ليقتل عليه الناس

أبو مسلم الخراسانى الداعى للعباسيين

الأصلُ فى كلِّ بنايةٍ حَجرْ … وإنْ زهتْ بالشُّرُفَات والحُجَر
معتمدُ الأركانِ والقواعدِ … وسَنَدُ العالى بهن الصاعدِ
فان وقفتَ مُطرىَ البناء … فاعطِفْ على الأساسِ فى الثناء
وهذه الدولةُ قد دعا لها … وقاد فى ظهورها رِعالَها
أغرُّ من سوابق الإسلامِ … فوارسِ اللقاء والكلامِ
اختلفوا فى أصلِهِ وفصلِهِ … والسيفُ يومَ النسب ابنُ نَصلِهِ
فقيل حرٌّ عربىُّ الوادى … وقيل عبدٌ من بنى السوادِ
وقيل كان يَدّعى العباسا … ويرتدى لهاشمٍ لباسا
خاض الخراسانىّ فى العشرينا … على بنى أمّيةَ العرينا
فلقيتْ دَعوتُه رواجا … ودخلتْ فيها القرى أفواجا
وقوبلتْ فى الفرس بالمُحبّذِ … من كلِّ دهقانٍ وكلِّ موبذٍ(1)
لبخل مروانَ عليهم بالنِّعمْ … وتركهم سُدًى كأهمال النَّعمْ
وقرعَ الساقَ لها من العربْ … من لا له فى الأمويين أربْ
ربيعة انحازت اليها ويَمَنْ … أظهرتا من ضغَنٍ ما قد كمَنْ
فكم جفاهما بنو مروانا … واصطنعوا من مُضَرَ الأعوانا

---

(1) اصلها موبذان وهو القائد الفارسى

وبالغوا فى البِرِّ والقيـــامِ وشـــاطروها نِعَمَ الأيامِ
وهى لما يقترحون أجـــرى وهى على بنى النبىّ أجـــرا
جاء ابو مســـلم الخِراسِنِى أبدلها من رائقٍ بآسنِ
رُمُوا بماضى الحـدّ لا يمينُ(١) داهيـــةٍ فى رأيه كمين
تقتبسُ الشبّان من مَضائِهِ وتنزِلُ الشّيب على قضائِهِ
يَصيدُ بالصَــلاة والصِّلاتِ ويقنصُ الولاةَ بالولاةِ
يُعينُه قحطبةٌ ذو البـــاس أولُ قُوادِ بنى العبـــاس
بخيلهم جاب البـــلادَ وفَرَى وقام بعدَه ابنُـــه مُظفرًا

(١) لا يكذب

الدولة العباسية

سِلْكٌ لآلٍ من بنى الأعمامِ ومُلْكُ آلٍ من بنى الغَمامِ
بجَدْبهم فى السنة[1] استسقى عُمَرْ هـزَّ الغمامَ بالغمام فانهمرْ
ودُولةُ الحق بدتْ للناسِ بين رضى الخَلْق والاستئناسِ
وعدُ النبىّ فى الحيـاة عمّهُ الله من بعدها أئمّهْ[2]
ولستَ تدرى مَن بنى أساسَها أعجبُ ، أم مَن شادها وساسها ؟
أقبل يبنيها من الفتيانِ عِصابةٌ مُحسِنةُ البُنيانِ
قد نفروا للأمر فى أوقاته والأمرُ يَستأنِسُ فى ميقاتِهِ
وانتخبوا الأبطال للمجالِ والخيرُ فى تخيُّر الرجالِ
ونقـدوا الآراء والسيوفا فنفَوا الكلولَ[3] والزيوفا
سلّوا خراسانَ ونمم الماضى فى الأمر مستقبلِهِ والماضى
خفّتْ لداعيهم ولبّتْ الطلبْ واعتصمَ المأمونُ فيها فغلَبْ
لأهلها فيهم هوى ونارُ[4] وفى مَهبّ الريح تقوى النارُ
رموْا بهـا فجدلوا أميّهْ وكلٌّ سهمٍ وله رَميّهْ
بالشام صادوا الملكَ والإمامهْ ما بال بازيهم غـدا حمامهْ
حقيقةٌ ليس لهـا مُفنِّدُ كل مُهنّدٍ له مُهنّد

---

(١) السنة القحط (٢) اشارة الى تبشير الرسول عليه السلام عمه العباس بالخلافة فى بنيه
(٣) الكلول التى لا تقطع (٤) النار الأولى الرأى

ابو جعفر المنصور

استخلف المنصورَ فى وصاتِهِ ... إن اختيار المرء من حَصاتِهِ
ابن أبيه وسراج بيتهِ ... الخلفاء لَمَحاتُ زيتهِ
حَبرُ بنى العباس ، بحر العلمِ ... قطبُ رحى الحرب ، مدار السِّلْمِ
فلم يكدْ بالأمر يستقلُّ ... حتى تلقّى فتنةً تُسَلُّ
قد فرغ الأهلُ من الغريبِ ... واشتغل القريب بالقريبِ
ثار بعيد الله ثأرُ الحسدْ ... وزعم الغابَ أتى غيرَ الأسدْ
وأن مروانَ اليه سلّما ... وأن يومَ الزاب يكفى سُلَّمَا
انقلب العمُّ فصار غمّا ... وفدح الأمرُ به وطمّا
جاء نصيبينَ وقد شقّ العصا ... فيمن بغى الفتنةَ صيداً وعصى
ما فلّ حدّهمْ عن المنصورِ ... سوى أبى مسلم المحصورِ
سلّ عليه سيفَه ورايَهْ ... فلم تقف لابن علىٍّ رايهْ
وهُزمَ الطاهرُ يوم النهرِ ... وعرف القاهرُ طعمَ القهرِ
ومن يحاولْ دولةً ومُلْكا ... يُلاقِ نُجحاً أو يُلاقِ هُلْكا

***

واستطرد الحينُ بنوةَ الحسنْ ... واجتمعوا فامتنعوا على الرسَنْ
وطلبوا الأمرَ وحاولوا المدَى ... وبايعوا راشدَهم محمّدا

وكان مقداما جريئا مِجَربا   طاح على حـــدّ الظُّبا فى يثربا
فثـــار ابراهيمُ للثاراتِ   وأزعج المنصورَ بالغـــاراتِ
فوجىء والجيوشُ فى الأطرافِ   بنهضـــة الدهماء والأشرافِ
'ضطرب الحجـــازُ والعراقُ   وشغب الغـــواة والمُرّاقُ
فلم تفُلَّ النائباتُ عـــزمَهْ   ولم يَـكِلَّ عن لقـاء الأزمَهْ
تدارك الشـــدةَ بالأشدا   من كلِّ من لمثلها أعـــدّا
وكان يستشيرُ فى المصائبِ   وهو أخو الرأى السديد الصائب
أمرٌ له كلاهما قـــد شمَّرا   وجـرّدا السيفَ له باخمرا[١]
فكان بين هاشمٍ من حربِ   ما كان بينها وبين حربِ[٢]
وكان فى أولهـــا للطالب   على قنا المنصور عزُّ الغالبِ
لولا المقاديرُ القديرةُ اليـــدِ   لأحرز السيّدُ مُلْكَ الســـيّدِ
كرّتْ عساكرُ الإمام كرّهْ   على جنـــود الحسَنِيِّ مُرّهْ
عـــدتْه عن دعوته العوادى   وأسعف الدهرُ أولى السدادِ
وطاب للشريف الاستشهادْ   فيما يخـــال أنه جهـــادُ
فطاح لم ينزلْ عن الـكُميْتِ   وهكذا أبناء هـــذا البيتِ
وكثُر القتلى وراح الأسرَى   على فوات الوَفَياتِ حَسْرَى
سيقوا إلى يزيدَ أو زيادِ   لـكن من القرابةِ الأسيادِ
فـــلم يذق ذا لحسَنيّين البَلا   ولا الُحسينيون يوم كربلا
مُنوا بقاسى القلب ليس يرحم   وليس تثنيه عليهم رَحِم

---

(١) موضع كان على فراسخ من الكوفة (٢) حرب أبى أمية

لو طمعتْ فى مُلكِهِ أولادُه ... شفاهمو من طمعٍ جــلاّدُهُ
هــذا أبو مسلم التيّاهُ ... غرّتْه فى دولتهم دنيــاهُ
فطال فى أعراضهم لسانهْ ... ولم يَقُمْ بِمَنِّهِ إحسانُهْ
ونازع الآلَ جلال القدْرِ ... ونافستْ هِمّتُه فى الصدرِ
دعواه فى دعوتهم عريضَهْ ... لولاه ظلتْ شمسُها مريضهْ
وهو لفضل الطاهرين ناسِ ... ومالهم فى الحب عند الناسِ
وما علوْا له من المُهمَّهْ ... وبذلوا من مدهشات الهمّهْ
وموت ابراهيم حتفَ فيــهِ ... فِدًى لأمرهم وحبًّا فيــهِ
فوغِرَ الوالى عليه صــدرا ... يُظهر عطفاً ويُسِرّ غــدرا
وصاحبُ الدعوة ضافى الدعوى ... يرفُل فيها نخــوةً وزَهوا
تطلبُــه الدماء كل مَطلَبِ ... لا بدّ للظالم من مُنقلَبِ
فكم أدارها على المَنونِ ... وكم أراقها على الظنونِ
هــذا الذى حمى أميةَ الكرى ... كان أبو جعفرَ منــه أنكرا
قــد يقــع الثعلبُ فى الُحبَالهْ ... وتتقِى الفراشــة الذُّبالهْ
أفنى الفضاء حيلةَ الخِراسِى ... وعصفت رياحُه بالراسى[1]
وســاقَهُ الحَيْنُ إلى الإمامِ ... والنفس تستجر[2] للحِمامِ
فجاءه فى موكبٍ مشهودِ ... وفى مدارعٍ من العهــود
أُرِيدَ بالداعى الردى وما دَرَى ... وكلُّ غــدّارٍ مُلاقٍ أغــدرا
فُــكِّنتْ منــه سيوفُ الهنــدِ ... وظفر الفرندُ بالفرندِ

---

(١) الجبل (٢) تنقاد

أصيبتِ الدولةُ فى غنائها   وسقط البنّاء من بنائها

***

الخلفاء ولدُ المنصور   وعصرُه الزاهى أبو العصور
إن استهلّتْ بالدماء مُدتُهْ   فما وقاها الهيج الا شِدتُهْ
ومن يقُمْ بمُلكهِ الجديدِ   يَقُدْه بالحرير والحديد
لا ترجُ فى الفتنة رِفقَ الوالى   قد يُدفع الحُكّامُ بالأحوالِ
أنظرْ إلى أيامه النواضرِ   وظِلّها الوارف فى الحواضرِ
عشرون فى المُلكِ رفقْنَ أمْنَا   وفِضْنَ نعماء ، وسِلْنَ يُمْنَا
خلافةٌ ثبتّها قواعدا   ثم ترقّى بالبناء صاعدا
أدرُّ من صوب الغمام دخلا   على أشد الخلفاء بُخلا
يخافُ فى مالِ العباد اللهَ   ما تَبِع الدنيا ولا تلاهى
للسلم آلاتٌ وللحرب أُهَبْ   جِماعهن فى الممالك الذهبْ
وحوّل المنصورُ مجرى العهدِ   أخّر عيسى وأقام المهدى
فكان فى تقدمه الإصلاحُ   وفى بنيه الخيرُ والفلاحُ
ولا تسلْ عن هِمّةِ العقولِ   ونهضةِ المعقول والمنقولِ
وكثرة الناقلِ والمُعرّبِ   عن حكمةِ الفُرسِ وعلم المَغربِ
واختطّ بغدادَ على التسديدِ   داراً لمُلْكٍ يَسِرِ مَديدِ
كانت لأيام البهاليل سِمَهْ   ومِهرَجانَ مُلْكِهم ومَوسِمَه
ينجمُ فيها النابغُ السعيدُ   وينجب المقتبس البعيدُ

دولة الفاطميين

مَن جعل المغربَ مطلع الضحى ... وسخّر البربر جنداً للهدى
وصرّف الأيامَ حتى أحدثتْ ... ما كان فى الأحلام أحلامَ الكرى
وأظفر الصابر بالنُّجح فيا ... هزيمة اليأس ويا فوز الرجا !
ونقّلَ الدولةَ فى بيت الهدى ... فلم تزُلْ عن طُنُبٍ إلا الى
سبحانَه المُلْكُ اليه وله ... يؤتيه أو ينزِعُه ممن يشا

***

قام إمامٌ من بنى فاطمةٍ ... خليفة ثم تلاه من تلا
ما عجبى لملكهم كيف بُنِى ... بل عجبى كيف تأخّر البنا
جدّهمو لا دينَ دونَ حُبِّهِ ... وأمُّهم بالأمهاتِ تُقتَدى
ومذ مضى مضطَهدا والدُهم ... أصبح بالمضَطهد اهتم الملا
أجلَّهم عِلْيةُ كلِّ حِقبةٍ ... وخصَّهمْ فيها السوادُ بالهوى
والفرسُ والتركُ جميعا شِيعةٌ ... لهم يرَوْن حُبَّهم رأس التقى
فشهِد اللهُ لهم ما قصَّروا ... القتل صبرا تارة وفى اللقا (١)
كم ثار منهم فى القرون ثائرٌ ... بالأمويين وبالآل الرضى
هذا الحسينُ دمُه بكربلا ... روّى الثرى لما جرى على ظما

(١) تعرضوا للقتل صبرا أى فى الحبوس وللموت تحت ظلال السيف

واستشهد الأقمارُ أهلُ بيتِهِ يهوُون فى الترب فرادى وثُنا
ابن زياد ويزيدُ بغيا والله والأيامُ حربُ من بغى
لولا يزيدُ بادئًا ما شربتْ مروانُ بالكأس التى بها سقى

* * *

وثار للثارات زيدُ بن على بن الحسين بن الوصىّ المرتضى
يطلبُ بالُحجة حقَّ بيته والحقُّ لا يُطلبْ إلا بالقنا
فتى بلا رأىٍ ولا تجربةٍ جرى عليه من هشامٍ ما جرى
اتخذ الكوفةَ درعا وقنا والاعزلُ الأكشفُ مَنْ فيها احتمى
مَن تكفِه الكوفةُ يعلَمْ أنها لا نصرَ عند أهلها ولا غَنَا
سائلْ عليًّا فهو ذو علمٍ به واستخبرِ الحسينَ تعلمِ النبا
فمات مقتولاً وطال صَلْبُهُ وأُحرقتْ جثتُه بعد البلى

* * *

على أبى جعفرَ ثارتْ فتيةٌ ما أنصفوا والله فى شق العصا
هم أهلُ بيت الحسن الطاهر أو من شبَّ من بيت الحسين ونما
أيطلبون الأمرَ والأمرُ لهم قد قرَّ فى بيت النبىّ ورسا
يحملُ عنهم همَّهُ وغَمَّهُ أبناءُ عمٍّ نُجُبٌ أولو نُهى
فليت شعرى كان ذا عن حسَدٍ أم بُخله[1] بلغهم إلى القلى ؟
محمدٌ رأسهمو فى يثربٍ والقومُ فى الأطراف يذكون[2] القرى

---

(١) أى حاله أى المنصور (٢) يهيجون

وأمرُ ابراهيمَ فى البصرة قد   زاد وكوفانُ كرِجَلٍ غلا
مُلمةٌ لو لم تصادفْ همةً   لأودت الدولةُ فى شرخ الصبا
قام اليها مَلِكٌ مُشمرٌ   فى النائبات غيرُ خوّار القُوى
ساق الى الدار خميساً حازها   وقتل المَهدىَّ عند الملتقى
وكان بين جيشه بأخمرا   وبين إبراهيم يومٌ ذولظى
لم يصدُقِ ابنَ الحسَنِ النصرُ به   أصبح ضاحكاً وأمسى قد بكى
مات بسهمٍ عاثرٍ لم يَرمِهِ   رامٍ ولكنّ القضاء قد رمى
فلا تسلْ عن جيشه أين مضى   ولا تسلْ عن بيته ماذا التقى
هاربُهم ليس يرى وجهَ الثرى   ولا يرى مسجونُهمْ غيرَ الدُّجى

* * *

وما خلا خليفةٌ مُسوّدُ   من طالبٍ يطلبُ الأمرَ سُدى
يقتَلُ ، أو يُزجُّ فى السجن به   أو يتوارى أو يُبيده الفلا
يرجون بالزهد قيامَ أمرهمْ   والزهدُ من بعد أبيهم قد عفا
لو دامتِ الدنيا على نُبوةٍ   لكان للناس عن الأخرى غنى
تخلقوا نبذَ المشورات فلا   ينزلُ منهم أحدٌ عما يرى
من لا يرى بغيره وإن رأى   بعينِى الزرقاء[1] كان ذا عمى
وقلما تخيّروا رِجالهمْ   إن الرجال كالفصوص تُنتقَى

* * *

(١) زرقاء اليمامة يضرب بها المثل فى حدة البصر

قد خالف المأمونُ أهلَ بيته — حباً بأبناء الوصيّ وحِبا[1]

من أجلهم نضا السوادَ[2] ساعةً — فقال قومٌ: خلع الوالى الحيا

ولو سَهَا فؤادُه وآلُه — لقلّدَ العهدَ علىّ بن الرضا

فما خلتْ دولته من ثائرٍ — قد قطع الطرقَ وعاث فى الحمى

جيء بشيخٍ علوىٍّ زاهدٍ — فقبل البيعة بعد ما أبى

تأمرُ باسمه وتنهى فتيةٌ — لحيته بينهمُ لمن لها

من أهل بيته ولكن فزعتْ — من جورهم وفسقهم أمُّ القرى

ورُبَّ غادٍ مُنىَ الحجُّ به — وخوّف الخيف ولم يأمن مِنى

وكان زيدُ النار فى أيامهم — والآخرُ الجزّار عاث وعتا

فظهر الجندُ عليهم وانتهى — تائبهمْ الى الإمام فعفا

فهؤلاء لم يشنْ غيرُهمْ — سمْعَ بنى حَيْدرةٍ ولا زرى

من حظّهمْ أن صادفوا خليفةً — فى قلبه لهم وللعفو هوى

ولم تزلْ تمضى القرونُ بالذى — أمضى مُصَرِّمُ القرون وقضى

حتى حبا اللهُ بنى فاطمةٍ — ما مات دونَه الأبوّةُ العُلا

ما طلهم دهرهمو بحقِّهمْ — حتى إذا ما قيل: لن يفى . وَفَى

ما لأوانٍ لم يئنْ مُقدِّمٌ — ولا يؤخّر الأوان إن أتى

* * *

سار إلى المغرب من شيعتهم — فتى غزيرُ الفضل موفورُ الحجى

---

(١) الحباء العطاء (٢) لباس بنى العباس وشعارهم

تشيَّعتْ[١] من قبـــله آباؤهُ فرضع النية فيهم واغتـــذى
من أهـل صنعاء ودون عزمه ما صنعتْ من كلّ ماضٍ يُنتَضى
وأين داعٍ بسيوف قومِهِ وآخرٌ أعزلُ شـطّتْه النوى
يُصبِحُ مطلوباً ويُمسى طالباً ما قعـــدتْ طُلاّبُه ولا ونى
يُبشِّرُ النـــاسَ بهادٍ جاءهم وأنّ مَهْدِيَّ الزمان قد أتى
حتى تملّك العقول ســحرُهُ إنّ البيـــانَ نفثاتٌ ورُقَى
ولم يزل مُتّبَعاً حيث دعا للفاطميّ ظافراً حيث غزا
مهما رمى بخيـــلِهِ ورَجْلِهِ فى بلدٍ أذعن ، أو حصنٍ عنا
فـــلم يدعْ من عربٍ وبربرٍ ولم يغادرْ من صحارَى ورُبَى
أجلى بنى الأغلَبِ عن أفريقيا عن الجنانِ والقصورِ والدُّمى
لابس أقواما ، تحـــلّى بالتقى بينهمو وبالفضيلة ارتدى
قدوةُ أهـــلِ الدين إلا أنه فى أدب الدنيا المثالُ المُحتَذى
ثم رمى المَغربَ فاهـــتز له وحثّ نحو سجلماسةَ الخُطا
قاتَلها نهـــارَه حتى بدا لأهلها الليل فلاذوا بالنجا
نجـاء فاستخرج من سجونها تبرَ خلالٍ كان فى التربِ لَقا[٢]
أتى به العسكرَ يمشى خاشعاً مكفكفا[٣] من السرور ما جرى
وقال يا قوم اتبعوا واليكم هذا الخليفة ابنُ بنت المصطفى
وترك المُلكَ له من فوره وسار فى ركابه فيمن مشى
أنظرْ إلى النيّةِ ما تأتى به والدينِ ما وراءه من الوفا

(١) تظاهر آباؤه بالدعوة الفاطمية (٢) مطروحاً (٣) أى مكفكفا دمع الفرح

ولا تقلْ لا خيرَ فى الناس فكم ... فى الناس من خيرٍ على طولِ المَدى

* * *

اضطلع المَهدِىُّ بالامرِ فما ... قصّر فى أمر العباد عن هدى

وحمل الناسَ على الدين وما ... يأمُر من رشدٍ وينهى من عمى

انتظمتْ دولتُه أفريقيا ... وارفةَ الظلِّ خصيبةَ الذَّرا

وأصبحت مصرُ، وأمرُ فتحها ... أقصى وأعصى ما تمنّي واشتهى

كم ساق من جيشٍ اليها فتى ... عسكرَه القحطُ وردّه الوبا

وفتنة من الغيوب أو مضتْ ... قلّبتِ المغربَ فى جَمْرِ الغضا

صاحبُها أبو يزيدٍ فاسقٌ ... يُريد أمرَ الناس محلولَ العُرا

وكل مالٍ أو دمٍ أو حُرةٍ ... لناهبٍ وسافكٍ ومَن سبى

يا حبذا المذهبُ لا يرفضُه ... من قعد الكسْبُ به ومَن غوى

مات عُبيْدُ الله فى دُخانها ... وتعِبَ القائمُ بالنارِ صلِى

فُضّتْ ثغورُه وخلتْ حواضرُ ... وأمرَ الطاغى عليها ونهى

بالمالِ والزرعِ وبالأنفسِ ما ... أنسى الوباء والذئابَ والدَّبا[1]

ثم قضى محمدٌ بغمِّهِ ... والشرُّ باقٍ والبلاء ما انقضى

فلم تنلْ أبا يزيدٍ خيلُه ... ولا قنا له الكنانةَ القنا

ارتدّ عن مصرَ هزيماً جندُه ... يشكو من الإخشيدِ مُرَّ المشتكى

واستقبل المنصورُ أمراً بدَداً ... ودولةً رثّتْ وسلطاناً وهى

---

(١) الجراد

نارُ الرّنانىّ مشت على القرى ... وغيّرَ السيفُ الديارَ ومحى

فكان فى هوج الخطوبِ صخرةً ... وفى طريق السيلِ شمّاء الرّبا

مكافحاً مقاتلا بنفسهِ ... إن خاب لم يرجعْ، وإن فاز مضى

لم يألُ صاحبَ(١) الحمار مَطلبا ... فى السهل والوعر وسيراً وسُرَى

فأنقذَ المُدْنَ وخلّص القرى ... وطهّرَ الأرضَ من الذى طغى

وترك المُلْكَ سلاما لابنهِ ... والأمرَ صفواً والأقاليم رضى

فتى كما شاءت معالى بيتهِ ... عِلماً وآداباً وبأساً وندَى

تقيّل الأقيالَ من آبائهِ ... وزيدَ إقبالَ الجدود والُحظا

قد حسّنَ المُلْكَ المُعزُّ وغدتْ ... أيامُه للدين والدنيا حُلَى

أحاط بالمغربِ من أطرافهِ ... ودان منه ما دنا وما قصا

جاءت من البحر المحيطِ خيلهُ ... تحمل منه الصيْد حيّاً ذا طرا

حتى ربتْ وكَثُرتْ جموعه ... ووفر المالُ لديه ونما

فاستحوذتْ مصرُ على فؤاده ... وقبلَه كم تيّمتْ له أبا

فاختار للفتح فتى مُختبَراً ... مَعدِنُه، فكان جوهرُ الفتى

سيّره فى جحفلٍ مُستكملٍ ... للزاد والعُدّةِ والمال الروى(٢)

فوجد الدار خلتْ واستهدفتْ ... بموت كافور الذى كان وقَى

فلا أبو المِسْكِ بها يمنعُها ... ولا بنو العباسِ يحمون الحمى

قد هيئت فتحاً له لم يدّعِمْ ... على دم الفتيان أو دمعِ الأسى

---

(١) لقب الثائر الرناتى (٢) الكثير

فان يفتْ جوهرَ يوم وقعةٍ فكم له يوماً بمصر يُرتضى
اعتدل الأمرُ على مقدمهِ وكان ركنُ المُلكِ ميلاً فاستوى
وجرتِ الأحكامُ مَجرى عَدْلها وعرَف الناسُ الأمانَ والغنى
كم أثرٍ لجوهرٍ نفيسُه الى المُعزّ ذى المآثر اعتزى
الجامعُ الأزهرُ باقٍ عامِرٌ وهذه القاهرةُ التى بنى
وقل إذا ذكرتَ قصريْهِ بها على السدير والخوَرْنقِ العفا
ودان أعلى النيل والنوبُ به للفاطميين وقدّموا الجزى[1]
وخضع الشامُ ومن حيالَهُ من آل حَمْدانَ فوارسِ اللقا
الا دمشق اغتُصبتْ ولم تزلْ دمشق للشيعةِ تُضمرُ القِلى
وأتتِ الدارُ[2] بنى فاطمةٍ وانتقلَ البيتُ اليهمْ وسعى
فصارت الخطبةُ فيها لهمْ والذكرُ فى طُهرِ البقاع والدعا
حتى إذا الملكُ بدا اتساقُهُ ونظَمَ السعدُ لجوهرَ المُنَى
أتى المعزُّ مصرَ فى مواكبٍ باهرة العِزِّ تكاثرُ الضُّحَى
واستقبل القصران يوماً مثلهُ ما سمع الوادى به ولا رأى
خزائنُ المَغربِ فى ركابهِ تباركتْ خزائنُ اللهِ المِلاَ[3]
فاجتمع النيلُ على مُشبههِ وغمرَ الناسَ سخاءٌ ورخا
وابنُ رسولِ اللهِ أندى راحةً وجودُه إن جَرحَ النيلُ أسا
الأرضُ فى أكناف هذا أجدبتْ وذا أزاح الجدبَ عنها وكفى

---

(١) جمع جزية (٢) الدار المدينة دار الرسول (٣) الملاء

ولم يزلْ أبو تميم يشتهي ... بغدادَ والأقدارُ دون ما اشتهى
حتى قضى عنـــد مدى آماله ... لو تعرفُ الآمالُ بالنفس مدى
انتقل المُلكُ فكانت نُقْلَةً ... من ذِروة العزّ الى أوْجِ العُلا
جرى نِزارٌ كمَعَدّ للمدى ... كما جرت على العُصيّةِ العصا
إن يكُ في مِصرَ (العزيزَ)[1] إنّهُ ... من المحيط مُلكُه الى سَبا
المُسرِجُ الخيلَ نُضاراً خالصاً ... والمُنعِلُ الخيلَ يواقيت الوغى
لم يخلُ من جدٍّ بها أو لَعِبٍ ... مِن الميادين الى حرّ الوحى
مُلْكٌ جرى الدهرُ به زهواً وما ... أقصرَه مُـــلاوةً إذا رها[2]
مضى كأيام الصِّبَا نهارُه ... وكليالى الوصل ليلُه انقضى
كان العزيزُ سدّة الفضل التى ... انقلب الراجون منها بالحِبَى
لآل عيسى مِن نَدَى راحته ... وآل موسى قبسٌ ومُنتشَى
وكان مأمونَ بنى فاطمةٍ ... كم كظم الغيظ، وأغضى، وعفا!
أوْدى فغاب الرفقُ واختفى الندى ... وحُجِبَ الحِلْمُ وغُيِّب الذكا
وحكم الحاكِمُ مصرَ، ويحَها! ... قد لقيَتْ من حُكمِه جَهدَ البَلا
أنعبَهـــا مُختلَطٌ مختبَلٌ ... يهـدِمُ إن ثار ويبنى إن هَدَا
ولم تزلْ من حَـدَثٍ مُسيَّرٍ ... الى فشِل العزم واهنِ المَضَا
حتى خبا ضياءُ ذاك المنتدَى ... وعَطِلَ القصرانِ من ذاك السنا
عفا بنو أيوبَ رسمَ مُلكِهم ... وغادروا السلطانَ طامِسَ الصدى

---

(١) العزيز وارث المعز (٢) لان وطاب

وجمعوا الناسَ على خليفـــةٍ　　من ولَدِ العبـاسِ لا أمْرَ ولا
سبحان من فى يده المُلْكُ ومَنْ　　ليس يجارِ فيـــه إلا ما قضى

* * *

فيـا جزى اللهُ بنى فاطمةٍ　　عن مصرَ خيرَ ما أثاب وجزى
وأخذ اللهُ لهمْ من حاســدٍ　　فى النسبِ الطاهر قال ولغا
خلائفُ النيـــل اليهم يُنتَمى　　إذا الفُراتُ لبنى الساقى[1] انتمى
تلك أياديهمْ على لَبّاتِهِ　　مفصــــلاتٍ بالثناء تُجتَلَى
كم مُدُنٍ بنوْا ودورٍ شــيّدوا　　للصـــالحات هٰهنا وهٰهنا
هم رفعوا الإصلاحَ مصباحاً فما　　من مُصلِحٍ إلا بنورهم مشى
والـكرمُ المصرىُّ ممـــا رسموا　　بمصرَ من برٍّ وسنُّوا من قِرَى
وكلُّ نَيْروزٍ بمصرٍ رائعٍ　　أو مِهْرَجانٍ ذائعٍ همُ الأُلَى[2]
همْ مزّقوا دروعهم براحِهم　　وكسروا بها الرماحَ والظُّبى
لا العربَ استبقوْا وهم قومهمو　　ولا رعوْا للمغربيِّنَ الوَلا
قد ملّكوا الأبعدَ أمرَ بيتهِمْ　　وحكّموه فى العشائر الدُّنى
وأنزلوا السُّنّةَ عن رُتبتهـــا　　ورفعوا شيعتَهم ومَن غـــلا
وصيَّروا المُلكَ إلى صبيانهم　　فوجـــد الفرصة من له صَبا
زداد بغىُ الوزراء بينهم　　وأصبحوا همُ الملوكَ فى المَـــلا
خليفةُ الرحمنِ فى زاويةٍ　　من الخمول، والوزيرُ ابنُ جـلا

---

(١) الساقى العباس　(٢) أى هم الذين كانوا الأصل فى ايجاده

مؤلفات المرحوم أمير الشعراء أحمد شوقى بك